الجهة الشرقية

الفهرس

تقديم	9
التراث الطبيعي	14
تاريخ الجهة	26
التراث المادي	70
التراث اللامادي	78
خاتمة	

www.beniznassen.com

"إن العمل الذي نقدم عليه اليوم، لا يرمي فقط إلى استقراء تاريخنا ؛ إنه بالأحرى تجسيد لقوة إيماننا بالمستقبل، مستقبل مغرب التضامن والتلاحم، مغرب الإرادة والجد، مغرب الفضيلة والطمأنينة والرصانة، مغرب الجميع، القوي بوحدته الوطنية، التي لا يزيدها المضي قدما في سياسة الجهوية إلا رسوخا ؛ مغرب يجعل كل جهة من جهاته مجالا خصبا، يتيح لكل طاقاتها التفتح والنمو والازدهار في إطار ممارسة ديمقراطية مواطنة."

مقتطف من نص الخطاب الذي وجهه جلالة الملك
محمد السادس بمناسبة تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
أجدير/ خنيفرة 2001/10/17

تقديم

يأتي إصدار هذه السلسلة التي تتوج مساهمة جهات المغرب في الاحتفال ب 12 قرنا في حياة مملكة في وقت يثابر فيه المغرب على إعطاء دفعة قوية لسياسة جهوية متقدمة. ولا شك أن غنى المغرب وعمقه التاريخي ينبني على غنى تراث جهاته التي ساهمت جميعها في إرساء قواعد الدولة المغربية. ولقد شكلت قافلة التاريخ إحدى المحطات الهامة في تخليد «12 قرنا في حياة مملكة» ومناسبة لإبراز مظاهر التراث والحضارة المغربية كما يعكسها الزخم الثقافي المتنوع لجهات المملكة، ومكنت المواطن المغربي من الوعي بهذا الرصيد الثقافي الذي يمثل إحدى مميزات الحضارة المغربية.

ومن أجل إعطاء استمرارية لهذا الحدث، وتطوير مسلسل الإنتاج التاريخي والتراثي الذي أعطت انطلاقته «جمعية ذكرى 1200 سنة لتأسيس فاس»، يأتي إصدار هذه السلسلة التي تعنى بتاريخ وتراث جهات المغرب في حلة أنيقة مدعمة بالصور بهدف تمكين المواطنين المغاربة، وخاصة الشباب، من التعرف على الخصوصيات الثقافية والحضارية لكل جهة من جهات المغرب.

ومن دواعي الفخر والاعتزاز أن نرى زمرة من المؤرخين والمختصين في حقل التراث والآثار المنتمين لجامعات ومعاهد علمية متنوعة يتجندون بحماس لإنجاز هذا العمل ذي القيمة العلمية الجلية، الذي سيساهم، دون شك، في إغناء الخزانة المغربية وفي توسيع المعرفة بتراث مختلف الجهات المغربية. وإذ أشكر الفريق المشرف على السلسلة وكل المؤلفين الذين ساهموا في كتابة أجزائها وبعض فصولها. أرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا العدد ما يلبي رغبته في المعرفة.

سعد الكتاني

المندوب السامي لذكرى 1200 سنة لتأسيس مدينة فاس

www.beniznassen.com

سلسلة تاريخ وتراث جهات المغرب

جمعية ذكرى 1200 سنة لتأسيس مدينة فاس

كل الحقوق محفوظة

الإدارة والإشراف
أحمد سراج

مراجعة
عثمان المنصوري
عكاشة برحاب

التنسيق التقني
مريم امزوري

المؤلفون
عكاشة برحاب
محمد لغرايب

إثنا عشر قرنا في حياة مملكة
Douze siècles de la vie d'un Royaume

مقدمة

مجال حدودي منفتح على البحر

تمتاز الجهة الشرقية بخصوصيات متفرّدة عن غيرها من جهات المملكة المغربية المستحدثة منذ سنة 1997، وهي وليدة التقسيم الإداري الجديد في إطار السياسة الجهوية بهدف خدمة التنمية المستدامة، ويشمل مجالها شمال شرق المغرب، الذي يمتد من شرق الريف بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط (إقليم الناضور) إلى واحة فكيك في الجنوب الشرقي بمحاذاة خط الحدود مع الجزائر (إقليم فكيك)، بينما يشكّل واد ملوية في مجراه الأوسط مُنتهاها من جهة الغرب.

تأخذ هذه الجهة شكلا مًضلعا ضخما يمتد في اتجاه طولي على أكثر من 400 كلم وبمساحة قدرها 82820 كلم مربع، تمثل 12 في المائة من مجموع مساحة التراب الوطني. ويقدّر عدد سكانها بحوالي 1.8 مليون نسمة. وتتكوّن الجهة الشرقية إداريا من ولاية وجدة التي تضم عمالة وجدة - أنجاد، وأقاليم بركان

واد ملوية

موقع الجهة الشرقية ضمن خريطة التراب الوطني

وتاوريرت وجرادة، وكذا إقليميْ فكيك والناظور، ومجموعة حضرية واحدة وخمس وعشرين بلدية وأربعة مراكز، وواحد وتسعين جماعة قروية.

تتشكل تضاريس الجهة الشرقية من ثلاث وحدات كبرى هي : سهول ملوية السفلى والهضاب العليا والمجالات الجبلية، وأهم هذه المجالات سلسلة جبال الريف الشرقي وجبال بني يزناسن التي تقع شرق وادي ملوية، ويغلب على التكوين الجيولوجي للوحدات طابع الكلس. وتتميز بمناخ متوسطي معتدل في الشمال، يتدرّج إلى مناخ شبه صحراوي في الجنوب. وتُساير التضاريس تدرّج المناخ، حيث تمتدّ أهم السهول الخصبة في الشمال، ثم تليها الهضاب العليا التي تتخللها بعض الكتل الجبلية، وتنتصب النجود العليا في الجنوب الشرقي، حيث تنتهي عند واحة فكيك، وهذا ما يكشف عن التنوع والتكامل بين كل المكوّنات الطبيعية للجهة الشرقية. وقد تضافرت عوامل التربة والمناخ لتحول المناطق المرتفعة إلى ما يشبه خزانا طبيعيا للمياه سواء في الحواشي الشمالية لأنكاد أو حواشيه الجنوبية.

ونصادف هذا التنوع أيضا على مستوى النسيج البشري الذي يتركب من مجموعات ذات أصول أمازيغية وأخرى ذات أصول عربية، أما التكامل فيبرز على المستوى الاقتصادي الذي يجمع بين الفلاحة العصرية وما يرتبط بها من نشاط صناعي، إلى جانب صناعات مرتبطة إمّا بوفرة بعض المعادن (الرصاص والزنك والنحاس) أو بسهولة استيراد بعض المواد شبه المصنعة (تصنيع الحديد قرب الناضور). وبما أن الجهة الشرقية منطقة حدودية، فقد ازدهر فيها نشاط التهريب، وأصبح ظاهرة لافتة للأنظار، وهي ظاهرة تمتد جذورها إلى القرن التاسع عشر، كما أن ظاهرة الهجرة إلى البلدان الأوربية تظل هي السّمة البارزة التي تميّز الجهة الشرقية، خاصة نحو هولندة وبلجيكا وألمانيا وفرنسا ثم نحو إسبانيا في السنوات الأخيرة.

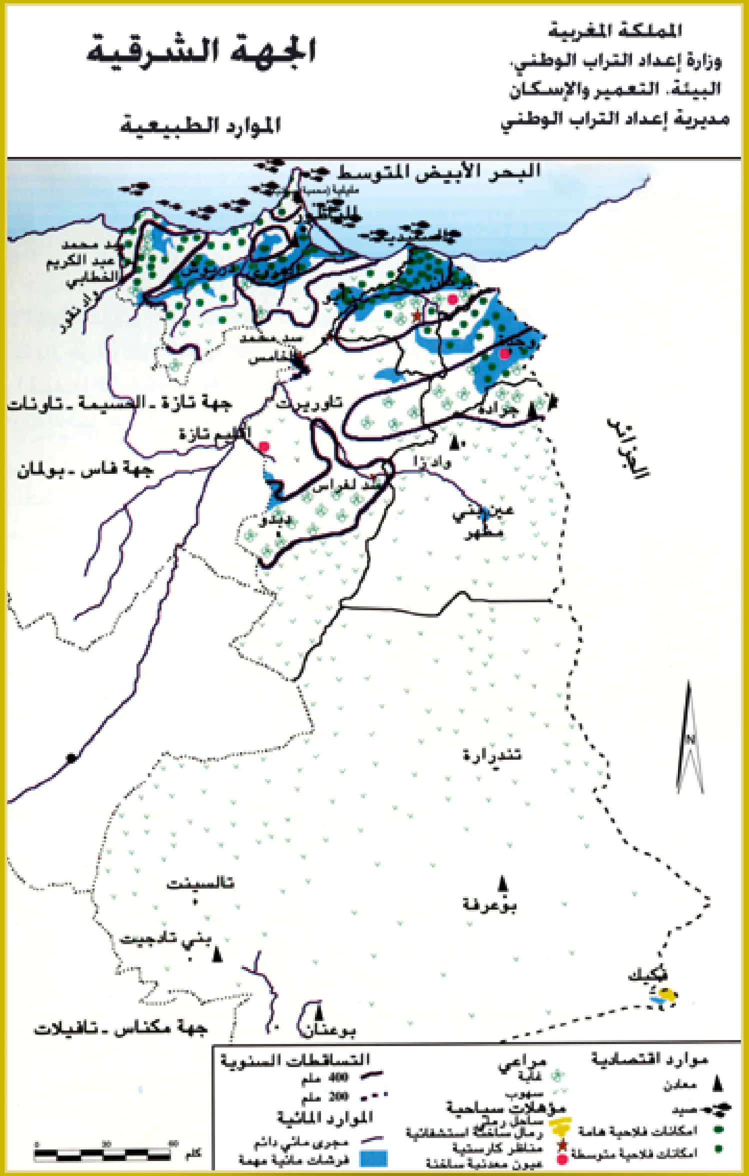

خريطة الموارد الطبيعية للجهة الشرقية

www.beniznassen.com

الجهة الشرقية

التراث الطبيعي

التراث الطبيعي

تمتاز الجهة بثرواتها الطبيعية المتعددة، فعلى مستوى النبات تشتهر بشجرها المتنوع، وخاصة شجر الخرّوب، الذي يُعدّ رمزا للمنطقة، وهو شجر دائم الخضرة، كان إلى وقت قريب يزيّن شوارع مدينة وجدة، وهو ثمر شديد الخضرة قبل نضجه، ذو مذاق حلو، يميل عند النضج إلى اللون البنّي ومنه إلى السواد، وهو على شكل أنصال أمواس. ويحتل شجر ساسْنُو حيّزا واسعا من المرتفعات، وهو ثمر برّي برتقالي اللون يميل إلى الحمرة، لذيذ وحلو المذاق، يبلغ حجم ثماره حجم حبات العنب أو أكثر بقليل، وينضج مع حلول الخريف، كما هو الحال بالنسبة للخروب. أما فاكهة المناطق الجافة فتنحصر في البندق، وسدرة كير، التي يطلق عليها زهرة وجدة، وإيوَجْدي هو الزهر الأصفر لشجر السدر، ولمدينة وجدة أسماء عديدة، منها مدينة السدرة لكثرة هذا النبات بجوارها.كما أن واحات المنطقة تشتهر بنخيلها وتمرها الجيد، وخاصة النوع المسمى أزيزا الذي تشتهر به واحة فكَيك.

شجرة الخروب

كانت الجهة الشرقية تُؤوي في الماضي بعض الحيوانات التي تأقلمت مع طبيعتها وظروفها المناخية، والتي انقرضت أو كادت، ولم يبق منها إلا الاسم، ومنها النعام، الذي كان مستوطنا لفحص أنكاد. وكانت قبائل المنطقة في فترة غير بعيدة تخرج لصيد الغزلان، إلا أن هذه الحيوانات انقرضت ولم تبق سوى الحيوانات المستأنسة مثل الخيول التي تحظى بمكانة كبيرة وعناية فائقة.

تتوفر الجهة الشرقية على عدد هام من المواقع الطبيعية الساحلية والجبلية والغابوية الساحرة المتميزة بمناظرها الخلابة وهوائها النقي، ومغاراتها الأثرية وعيونها الطبيعية. ويمكن أن نميز من بينها :

الشواطئ : تتوفر الجهة الشرقية على شريط ساحلي يمتد شمالا إلى ما يزيد على 190 كلم، من الشرق إلى الغرب، وتتخلله مجموعة كبيرة من الشواطئ الجميلة المتميزة برمالها ووسطها الطبيعي الساحر، وإمكانياتها السياحية المتنوعة، والتي تمتد من السعيدية إلى تازغين.

• شاطئ السعيدية : يتصدّر شاطئ السعيدية شواطئ الجهة الشرقية من حيث الأهمية، اعتمادا على موقع المدينة الاستراتيجي، وقربها من مطاريْ وجدة والناضور الدوليين، وما يتوفر عليه محيطها من مآثر تاريخية وطبيعية أكسبت المجال قيمة إضافية. حيث صارت المدينة قطبا سياحيا عالميا، استقطب استثمارات ضخمة، وواكب ذلك إنجازُ أشغال تهيئة كبيرة تتلاءم مع طموح الجوهرة الزرقاء الواعد، وهو الاسم الذي اشتهرت به المدينة، وصار فعلا اسما على مسمّى.

شاطئ السعيدية

• رأس الماء : وهو موقع غير بعيد عن السعيدية من جهة الغرب قرب مصبّ واد ملوية، حيث صار يشكل قرية سياحية تستقطب سنة بعد سنة مزيدا من الاستثمارات، خصوصا بعد تشييد مرسى صغير بها خاص بالصيد، ويمتد شاطئ رأس الماء أو رأس كبدانة كما يسميه الأهالي إلى مصب واد ملوية من جهة الشرق، وتنفرد قرية رأس الماء بموقعها المطل على جزر كبدانة (الجزر الجعفرية)،

www.beniznassen.com

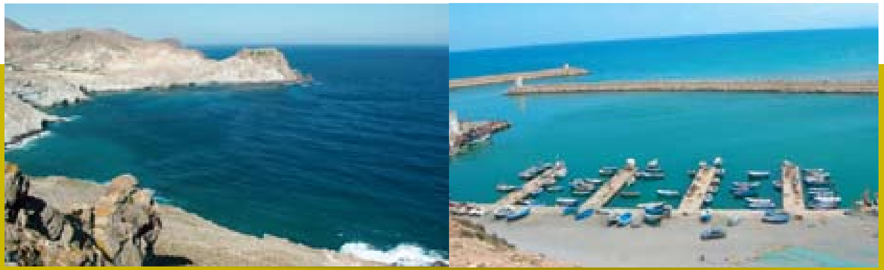

مرسى رأس الماء (إقليم الناظور)

وهي ثلاث جزر احتلتها إسبانيا في منتصف القرن التاسع عشر، مما أضفى على الموقع جمالية تستمد خصوصيتها من تداخل ثلاث مجالات تجمع بين الشاطئ والجبل ومصب نهر ملوية، حيث توجد محمية للطيور المهاجرة. وقد اشتهرت رأس الماء بمطاعمها المتخصصة في طهي الأسماك المحلية.

• بحيرة مارتشيكا : تتوفر بحيرة مارتشيكا (أو البحر الصغير) على قدر كبير من الأهمية من الناحية البيئية والطبيعية، حيث تؤوي عدة أنواع من الطيور المهاجرة، كما أنها تحوي عددا من الطحالب والأعشاب البحرية النادرة، ويستفيد منها حوالي ثلاثة آلاف صياد تقليدي موزعين بين مدينة الناظور وبني أنصار وقرية أركمان في إقليم الناظور بالريف الشرقي. وتفصل بينها وبين البحر المتوسط جزيرة بوقانا، وهو نفس الاسم الذي يطلق على الممر البحري الذي يصلها بالبحر المتوسط.

بحيرة مارتشيكا

المغارات والكهوف

يغلب التكوين الكلسي على تضاريس المنطقة، مما ساعد على إثرائها بمغارات تعود في تكوينها إلى ما قبل التاريخ، إلى جانب عيون تكاد تكون دائمة الجريان في الشمال كما في الجنوب.

تعتبر المغارات من أهم المعالم التاريخية التي تزخر بها المنطقة الشرقية، وصنفت من قبل الباحثين الأركيولوجيين الدوليين كمواقع ذات أهمية كبيرة بحكم احتوائها على معطيات ذات قيمة علمية، حيث خلّف إنسان تافوغالت القديم بعضا من أدواته. وقد عثر العلماء على جملة من مخلفات هذا الإنسان القديم بضواحي مدينة وجدة، وجبال بني يزناسن ومنطقة تندرارة، ومغارات المويلح، وتعود في أغلبها إلى العصر الحجري، ومن أهم هذه الأدوات حجارة من صوان وأنصال وأسنة ومكاشط وأقراص من الكوارتزيت، وقد ذاع صيت بعض المغارات على المستوى الدولي، وأهمها مغارتا الحمام والجمل بجبال بني يزناسن داخل غابات تافوغالت، ومغارة الخنك بتندرارة.

• مغارة الحمام : يتم الوصول إليها عبر منعرجات وهي ذات مدخل متسع يضيق كلما تعمق فيها الداخل، حيث يكسو سقفها سواد، وينتشر على أرضيتها ما يشبه الرماد. وقد عثر العلماء في طبقاتها على أدوات من صوان نُحتت بدقة وأدوات من العظام.

مغارة الحمام بتافوغالت

www.beniznassen.com

• مغارة الجمل : وهي قريبة من مستوى واد زكزل ذات مدخل واسع، وهي شديدة الاتساع في الداخل، يتميز سقفها بشدة الارتفاع، بينما تتميز أرضيتها بعمق سحيق، وهي شبيهة في لقياتها بما وجد بمغارة الحمام.

مغارة الجمل

• مغارة الخنك : تقع جنوب وجدة بمنطقة تندرارة، وقد عُثر عليها في النصف الأول من القرن العشرين، وتتميز باتساع مدخلها وغنى لقياتها التي هي عبارة عن عظام لحيوانات وأسلحة ورماد.

• غار الحوريات : يقع على الحافة الشرقية لعين سيدي يحي، ويتراوح عرض مدخله بين ثلاثة أمتار وأربعة أمتار، وهو مستطيل الشكل، ويبلغ عرضه ثمانية أمتار وعمقه عشرة، وارتفاعه ثلاثة، وسقفه مقوّس يكسوه دخان أسود.

وبشكل عام تزخر الجهة الشرقية بعدد آخر من المغارات، لم تحظ بعد بالاهتمام المطلوب، خاصة في رأس عصفور غير بعيد عن وجدة وفي جبال بني يزناسن وجرادة وفكيك. وبدون شك فإن الكشف عنها وعن محتوياتها قد يمنح الجهة الشرقية قيمة مضافة.

العيون المائية

ساهم تكوين تضاريس المنطقة الكلسي في ظهور عدد كبير من العيون المائية، حتى أن طبونيميا المغرب الشرقي غلبت عليها أسماء العيون، من قبيل عيون سيدي ملوك وعين الغزال وعين الصفا وعين تينسان وعين السراق وعين ليهودي وعين جراوة (فزوان) وعين سيدي

يحي وعين بني مطهر وعين الركادة وعين تافرنت وسبيلية وأوسيمان وعين تزدارت بحبوحة وتانوت وعين بني كريمن وتافرزاوت وتجمالت ولخناك. ومن أهم هذه العيون نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

• عيون سيدي ملوك : اتخذت منها مدينة العيون الشرقية اسمها، وهي ذات منابع واطئة، وتقع بسهل أنكاد بين مدينتي تاوريرت غربا ووجدة شرقا، وتحيط بها مجموعة عيون أخرى وهي عين تامر وعين الدفلة وعين الحجر.

• عين سبيلية : وهي أشهر عيون مدينة دبدو، يقال إنها أخذت اسمها من مدينة إشبيلية التي كان قد غادرها اليهود قهرا ونزلوا مدينة دبدو، ولما كان نُطق اليهود المغاربة الشين سينا سُميت بسبيلية بدل شبيلية، ولهذه العين تاريخ كبير في طقوس اليهود المغاربة من أهل دبدو، وفي أعلى هذه العين على مقربة من القصبة التاريخية توجد عين تافرنت، وهي عين دائمة الجريان، ويزداد صبيبها في السنوات المطيرة خاصة.

• عيون بني مطهر : تعتبر مصدرا لمياه واد زا أحد روافد ملوية، وهي كذلك دائمة الجريان، وتوجد في وطء من الأرض، مياهها فوارة، وحولها خمائل كثيرة تبدو للرائي من بعيد ذات لون أسود.

• عين الصفا : تقع في السفح الجنوبي لجبال بني يزناسن، وهي ضمن مجال بني منكوش التحاتا (الجنوبيين)، وتعتبر عاصمة لهم، في مقابل بني منكوش الفواقا (الشماليين) الذين تعتبر الركَادة عاصمة لهم.

• عيون فكَيك : تتوفر مدينة فكيك بالرغم من موقعها في أقصى جنوب الجهة على عيون مائية غزيرة، ويتجمّع الماء في مكانين متباعدين : هما تاغيت وحوض فكيك. وينبع الماء منهما على شكل عيون يصل عددها إلى ثلاثين، ويبلغ بعض هذه العيون من الكبر أن سُميت حماما. كما هو الحال مع تافراوت، وتيجنت (الحمام الفوقاني) وإفلي الجديد وإفلي أوراغ وتجمالت (الحمام التحتاني).

• حامة فزوان : تقع حامة فزوان على بعد 2 كلم من الطريق الرئيسية رقم 27 الرابطة بين وجدة وبركان، وتنبع عين فزوان على عمق 484م، وتنتمي إلى المياه المعدنية الساخنة ذات الصلابة المتوسطة،

www.beniznassen.com

وتتوفر على نفس خصائص عين إيفيان بفرنسا. تم اكتشاف ماء فزوان سنة 1961، ومن مميزات ماء الحامّة النقاء الطبيعي بدون معالجة، والاستقرار في حرارة تعادل 36.4 درجة، ويقدّر صبيبها بحوالي 0.4 لتر في الثانية. وماؤها صالح للشرب بصفة دائمة وبنوعية جيدة، ويمكن تخزينه لمدة أربعة اشهر، مع خلوّه من بعض المعادن الضارة. وقد أثبتت التجربة فعاليته في معالجة بعض الأمراض المتعلقة بالكليتين والمسالك البولية، وملاءمته للمرضى المتبعين لحمية غذائية خالية من الأملاح، زيادة على خاصيته كمسهل للهضم.

المنتزهات والواحات

يتوفر إقليم جرادة على مؤهلات سياحية تجمع بين الجبل والواحة والصحراء، وغابات طبيعية تمتد على مساحة 69800 هكتار وأخرى اصطناعية على مساحة 10280 هكتارا، بالإضافة إلى منتجعات قروية هامة مثل منتجع توسورين بجماعة لعيونات، الذي يبعد عن بلدية جرادة بحوالي 60 كلم، وكان منذ الخمسينات وإلى بداية السبعينات قبلة للفرنسيين من هواة القنص، لما يتوفر عليه من وحيش وطيور، إلا أنه مع ذلك غير معروف. وهناك منتجع كَافايْت الجبلي على بعد حوالي 23 كلم عن مدينة جرادة، ويتميز بطبيعة ساحرة ومياه وافرة وحدائق مثمرة وعيون نابعة من الجبل والصخور وأشجار متنوعة.

وهناك أيضا منتزه رأس عصفور وكذا المنتزه البيولوجي الشخار الممتد بين جماعتي تيولي والعوينات والبحيرة الطبيعية الكائنة بجماعة أولاد سيدي عبد الحاكم بدائرة عين بني مطهر والمعروفة باسم «جبارة»، والتي تعد محمية للطيور المهاجرة.

• **تافوغالت :** تقع في إقليم بركان وسط جبال بني يزناسن، في وسط غابوي كثيف وتضاريس جبلية، وتتميز غابتها بأشجارها المتنوعة (العرعار والصنوبر والبلوط)، وتمتاز أيضا بعيونها المائية العذبة الباردة، وبقربها من وجدة (60 كلم) والسعيدية (40 كلم). ويتوسط تافوغالت واد زكَزل، حيث توجد مغارة الجمل المصنفة كموقع تاريخي وأركيولوجي فريد، لا تحاكيه إلا بعض المواقع في مصر والشرق الأوسط، ثم مغارة الحمام.

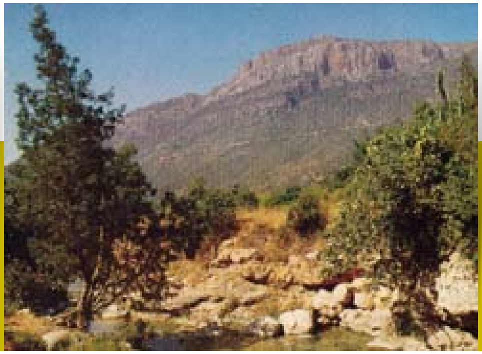

منتزه تافوغالت

واحة فكيك

• **واحة فكيك :** تساهم العيون في غالب الأحيان في تكوّن واحات سواء في شكل مدن مثل فكيك، أو في الضواحي كواحة سيدي يحي بجوار مدينة وجدة شرقا. وتقع واحة فكيك في أقصى جنوب الجهة الشرقية، بمحاذاة خط الحدود المغربية الجزائرية، وهي أقرب واحة لأوربا، تحيط بها سلسلة من الجبال تحمل كلها تقريبا أسماء أمازيغية، ولا يمكن الوصول إلى هذه الواحة إلا عبر الفجاج. وتحيط بمدينة فكيك ما يفوق 100 ألف نخلة، تتوسطها عيون وينابيع متدفقة المياه، ناهيك عن الآثار التاريخية القديمة، وكنز معماري من القصور والحمامات الرملية ذات الخصائص العلاجية.

• **واحة سيدي يحي :** وهي أكثر الواحات شهرة في ضواحي وجدة، تحمل إسم وليّ المدينة سيدي يحي بن يونس، ويسميه يهود المدينة يحي بن دوسة، ويدعيه المسلمون واليهود في ذات الوقت، وربما المسيحيون أيضا. وتزعم الرواية أنه أول من حفر عيون الواحة عندما حط رحاله من سفره البعيد، وأنه وفد إلى المنطقة في زمن المسيح عليه السلام، بينما تشيع رواية أخرى أن وفادته كانت أيام اضطهاد اليهود والمسلمين بالأندلس سنة 1492م. إلا أن روعة المكان وسحر طبيعته وتشابك أشجاره ونخيله، من الأمور التي لا جدال فيها، قد كان وما يزال مقصد النزهة، حيث كانت تعقد به المواسم السنوية، وتقام تظاهرات الفروسية.

سيدي يحيى

www.beniznassen.com

الجهة الشرقية

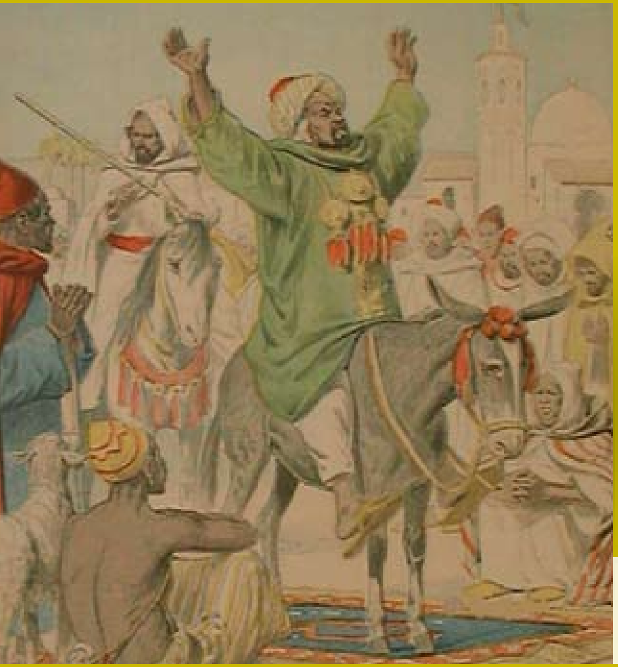

تاريخ الجهة

www.beniznassen.com

تاريخ الجهة

مجال حدودي متميز

تمتاز الجهة الشرقية بموقعها في الأطراف الشمالية الشرقية للبلاد، وتعد بذلك مجالا حدوديا منفتحا على البحر، حيث تتوفر على واجهة بحرية تطل على حوض البحر الأبيض المتوسط. وقد كانت لها حدود مشتركة مع كل المكوّنات السياسية التي تعاقبت على حكم غرب الجزائر منذ الفترة القديمة إلى الفترة المعاصرة.

كان لهذا الموقع المتميز عبر التاريخ آثار متعددة ومتباينة، ساهمت في تنمية المنطقة وتطورها في بعض الأحيان، وشكلت في أحيان أخرى تهديداً لسيادة البلاد وسلامة أراضيها. خاصة من جهة الشرق بحكم مشاكل الجوار.

❑ قِدم تعمير المنطقة

تكشف كثير من الآثار وبعض المصادر التاريخية عن تعمير قديم بشمال شرق المغرب، حيث اكتُشفت بضواحي مدينة وجدة نماذج من المصنوعات الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري، كما كشف البحث الأثري في بعض المغارات عن مؤشرات تؤكد تعمير الجهة الشرقية منذ عدة آلاف من السنين، خاصة في مغارة سيدي يحيى بمدينة وجدة وفي مغارة الحمام ومغارة الجمل قرب مصطاف زكزل بجبال بني يزناسن، حيث تم العثور على بعض الحلي وبعض الصدفيات التي يعود تاريخها إلى أزيد من ثمانين ألف سنة قبل الميلاد.

مغارة الحمام بموقع زكزل

كما أثبتت الأبحاث التاريخية أن الشريط الساحلي للجهة الشرقية كان مجالا منفتحا على العالم الخارجي المعروف آنذاك، ويُذكر أن الفينيقيين هم من بين أقدم العناصر التي تعاملت مع أقوام هذه الجهة، إذ كانت مدينة مليلية المحتلة (إقليم الناضور) محطة تجارية فينيقية تعرف باسم رُوساديرالتي يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وهذا مؤشر على انفتاح شمال شرق المغرب على الحضارات الأخرى منذ فجر التاريخ.

ويبقى عهد الممالك الأمازيغة، خاصة منذ القرن الثاني قبل الميلاد أبرز فترة، تواترت خلالها الأخبار عن شمال شرق المغرب، حيث كانت هذه الجهة تنتمي إلى موريتانيا وهو الاسم الذي كان يطلق على الرقعة التي يغطيها المغرب الحالي إلى جانب جزء من غرب الجزائر ثم وقع تقسيم موريتانيا إلى شرقية وغربية، فكان مصير شمال شرق المغرب أن كان من نصيب موريتانيا الشرقية، حيث كانت الصراعات بين الممالك الأمازيغية، وتشير بعض المصادر القديمة إلى أن واد ملوية كان يشكل حدا فاصلا بين الموريتانيتيْن، وتأكد هذا التقسيم لاحقا في ظل السيطرة الرومانية، حيث صار شمال شرق المغرب ضمن موريتانيا القيصرية التي ضمّت أيضا غرب الجزائر، بينما شكل المجال الواقع غرب واد ملوية موريتانيا الطنجية، وهذا دليل قاطع على أن شمال شرق المغرب كان مجالا حدوديا بامتياز منذ أقدم العصور، مما كان ينعكس على المنطقة بالتجديد والتحول باستمرار، وقد تأكدت هذه الخصوصية في فترات لاحقة، وما زال الأمر كذالك إلى يومنا هذا (2009)، على الرغم من إغلاق الحدود بين المغرب والجزائر بسبب مشكلة الصحراء المغربية.

وقد تزامن الحضور الروماني مع انتشار المسيحية بعد أن صارت ديانة رسمية للإمبراطورية، خاصة في المناطق الساحلية، وهو ما كشفت عنه بعض المصادر القديمة إبّان حديثها عن الفتح الإسلامي، وفي هذا الإبّان أيضا انتشرت الديانة اليهودية بين بعض القبائل البربرية، فكانت مدينة دَبْدُو من أكبر التجمعات للجالية اليهودية في المغرب، وظل الأمر كذلك إلى مطلع القرن العشرين الميلادي.

www.beniznassen.com

شمال شرق المغرب بوابة للفاتحين العرب

تشير كثير من المصادر التاريخية إلى أن عقبة بن نافع دخل المغرب الأقصى في نهاية القرن السابع الميلادي (منتصف القرن الأول الهجري) عبْر المسالك المعروفة آنذاك، التي كانت تربط بين موريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية، وبذلك شكّل شمال شرق المغرب مَعبَراً لنشر الإسلام في باقي أجزاء المغرب. وقد وردت روايات عديدة عن كيفية دخول الفاتحين إلى شمال شرق المغرب، غير أنها روايات أقرب إلى الأساطير، ونورد في هذا الصدد ما رواه الواقدي لما فيه من طرافة، غير أنه لا يُحمَل على محمل الجدّ.

> «قال الراوي : كان الأبلق (ملك وجدة) جبارا عنيداً وشيطاناً مريدا، وكان بينه وبين صاحب الجدارِ (أي تلمسان) عداوة من أجل مصاهرة، لأنه كان خطب ابنته شُعاع الشمس فأبى تزويجها إياه، فأتى إليه في جيش عظيم، ووقعت بينهما حرب شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير وعاد إلى بلاده بدون أن ينال مقصوده، فدعا الملك بدواةٍ وقرطاس وكتب يقول : إلى الملك صاحب وجْدة أما بعد، فإن صعاليك العرب قدموا إلى بلادنا ونزلوا علينا ونحن من مدة كذا في حرب شديدة معهم، وإنني وإن كنت أذنبتُ ذنباً سابقاً، فقد ندمتُ على ما فرط مني واعترفتُ بذنبي، ويمكنك أن تعتبرني من اليوم عبد رقّ وابنتي شُعاع الشمس خادمة لك، والآن أطلب منك الإعانة، فإن تكرّمتَ أيها الملك بإنجادي فعجّلْ قبل أن يفضحنا العربِ والسلام، ثم طوى الكتاب وختمه وبعثه مع أربعة فرسان من حاشيته وقال لهم أسرعوا بتبليغه.... »
>
> **المصدر:** لويس فوانو، وجدة والعمالة
> (ترجمة وتعليق محمد الغرايب)، ج 2 ص 90.

لم تُسجّل إفادات تاريخية كثيرة عن شمال شرق المغرب إبّان بسط سلطة الفاتحين المسلمين على المغرب، أو بعد أن أصبح تابعا للأمراء الأمويين بالأندلس ثم خاضعا لسلطة العباسيين لاحقا، وكل ما يُستخلص من المصادر التاريخية أنه صار بوّابة للقادمين من الشرق. وفي هذا السياق وردت إشارات هنا وهناك عن مرور المولى إدريس بالجهة الشرقية

للبلاد فارّاً من اضطهاد العباسيين في المشرق (سنة 786 م) فبايعته قبيلة أوربة (وليلي) سنة 789 م متبوعة بقبائل بربرية أخرى، فتأسست بذلك إمارة مستقلة عن المشرق، فكانت هي أساس الدولة المغربية بعد الفتح الإسلامي. وفي سياق جهود المولى إدريس لبناء الدولة وإخضاع قبائل أخرى، توجّه في نهاية سنة 789 بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة تلمسان موطن قبائل مغراوة ومركز سلطتهم، فبايعوه وأسلموا أمرهم إليه بعد أن استسلمت له قبائل زناتة، التي كانت تستوطن المجال الممتد من تلمسان إلى مدينة وجدة، وبذلك صارت الجهة الشرقية مجالا حدوديا يفصل بين الدولة المغربية الناشئة والمناطق الخاضعة للنفوذ المشرقي أو ما انشق عنه من الخوارج.

وجدة حاضرة الجهة الشرقية منذ القرن 10 م

في مطلع القرن التاسع الميلادي صار موقع المدينة محطة أساسية على المسالك التي تربط بين سجلماسة والمشرق، وأيضا بين هذا الأخير وفاس، وبذلك أضحى موقعا استراتيجيا يربط بين عدة مسالك تجارية. وفي إطار الصراعات القبلية خاصة بين صنهاجة من جهة وبني يفرن ومغراوة من جهة ثانية وكذا تدخّل أمراء الأندلس الذين أطاحوا بآخر أمراء الأدارسة برز الزعيم المغراوي زيري بن عطية منذ سنة 970 م، بعد أن لقي مساندة ودعماً من أمَويّي الأندلس، الذين أقطعوه بلاد المغربيْن الأوسط والأقصى. وفي هذا الإطار توجه بقواته لإخضاع الجهة الشرقية وتوسيع نفوذه شرق مدينة فاس، وحماية ممتلكاته في الوقت ذاته من كل الأخطار التي كانت تتهدده من جهة الشرق، وبهذا الصدد قرّر بناء مدينة وجدة في شهر رجب سنة 384 هـ / 994م، وقام بتحصينها بأسوار عالية، فصارت بحق بعد ذلك عاصمة لشمال شرق المغرب. وفي هذا الصدد قال ابن خلدون :

«... واختط مدينة وجدة سنة ثلاث مائة وأربع وثمانين، وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذويه، ونقل إليها ذخيرته وأعدّها معتصما، وكانت ثغراً للعمالتيْن المغرب الأقصى والأوسط»، (كتاب العبر، ج 7، ص 32 33). وفي منتصف القرن الحادي عشر ميلادي أشار الجغرافي البكري إلى مؤسّسي مدينة وجدة في كتابه «المغرب في ذكر إفريقية والمغرب» :

www.beniznassen.com

«وجْدة مدينتان مسوّرتان، أحدثَ إحداهما يعلى بن بُلُوغين الورتغنيني بعد أربعين وأربعمائة (440) يسكن في المحدثة التجار وفيها أسواق والجامع خارج المدينتيْن على نهر قد أحدقت به البساتين، وهي كثيرة الأشجار والفواكه طيبة الغذاء جيدة الهواء، يمتاز أهلها من غيرهم في نضارة ألوانهم ونعمة أجسامهم، ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها للظلف والحافر، ينتهي شحم شاة من شياههم مائتي أوقية، وعلى طريق مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيره».

المصدر : (البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص 87)

وقد أُثيرت روايات متعددة بشأن اسم المدينة، ونورد ما لخّصه بهذا الشأن الضابط الفرنسي لويس فوانو في كتابه «وجدة والعمالة» سنة 1912.

«ومن اسم وجدة أُعطيت عدة اشتقاقات وهي كما يلي : وجدة وتعني الثروة والرخاء، ووجْدة وتعني الأرض المستوية، والجديدة وتعني المدينة الحديثة البناء، لأن بناءها أعيد عدة مرات كثيرة، وواجْدة أي المتأهبة بمعنى المدينة الحدودية المستعدة دوما للدفاع عن نفسها، والوجود أي الصلحاء، وقد يكون مردّ ذلك لوجود العديد من الأولياء بهذا المكان، وتستند بعض الاشتقاقات إلى براهين دقيقة جدا تستحق منا أن نتوقف عندها طويلا، ويبدو أن الرواية التي قالت باشتقاق وجْدة من وجيدة لا بد أن تكون الأكثر صوابا، ذلك أن إحدى قنوات توزيع مياه سيدي يحيى ما زالت تحمل هذا الاسم، وهو ما ينطبق معناه تماما على حالة المدينة، ودُعيت وجدة كذلك بمدينة الحيْرة أي مدينة الخوف، كما دُعيت بمدينة السدْرة، أي مدينة السدر...».

المصدر : فوانو، وجدة والعمالة، تعريب وتعليق محمد الغرايب، ج 1، ص 37.

بعد قيام الدولة المرابطية (القرن 11م) وخاصة الدولة الموحدية (القرن 12م) لم تعد الجهة الشرقية مجالا حدوديا كما كانت في السابق، وبالذات بعد أن وحّدت الإمبراطورية الموحدية بلاد المغارب(المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى)، غير أن الجهة الشرقية عادت لوضعها السابق باعتبارها مجالا حدوديا في

العهد المريني، خاصة أثناء الصراع بين المرينيين وبني عبد الواد الذين أنشأوا إمارة بتلمسان، وفي هذا السياق تذكر المصادر أن مدينة وجدة تعرضت للهدم والتدمير عدة مرات، ثم أعيد بناؤها في نهاية المطاف على يد المرينيين أنفسهم.

أطماع أتراك الجزائر في شمال شرق المغرب (ق 16م)

بعد الهجوم المسيحي على المغرب على خلفية الصراع بين المسلمين والمسيحيين في غرب البحر الأبيض المتوسط، استولت إسبانيا على مدينة مليلية سنة 1497م (إقليم الناضور) فصارت مبعثا على التوتر بين المغرب وإسبانيا، وشمل التوسع الإسباني مدينة وهران في الفترة ذاتها (1505)، وبذلك صار شمال شرق المغرب محاصرا بالتهديد الإسباني من جهة الشرق ومن جهة الغرب. (وهران من جهة الشرق ومليلية من جهة الغرب)، غير أن قدوم الأتراك إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر، أنهى الحصار من جهة الشرق بعد تحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان، بينما ظلت قبائل شرق الريف واقفة بالمرصاد للجنود الإسبان المتحصّنين داخل أسوار المدينة المحتلة.

على الرغم من التهديد الإسباني للجهة الشرقية انطلاقا من وهران ومن مليلية، فقد تَجدّد الصراع حول هذه الجهة إثر قيام الدولة السعدية في القرن السادس عشر، خاصة بعد أن خضعت الجزائر للدولة العثمانية في مطلع القرن ذاته. حيث استطاع السلطان محمد الشيخ السعدي بسط سلطته على مدينة تلمسان سنة 1549 بعد أن استنجد به أهلها، لكن سرعان ما استردّها الأتراك سنة 1552، وأعقب هذا التوتر بين الدولتيْن وصول سفارة تركية إلى فاس بهدف الصلح وضبط الحدود بين البلدين، غير أنها لم تنته إلى حل قد يرضي الطرفيْن، وفي عهد المنصور السعدي صفا الجوّ السياسي بين الدولة العثمانية والشرفاء السعديين، فصارت مدينة وجدة مدينة الحدود المغربية، بينما أضحت مدينة تلمسان تشكل مدينة الحدود الجزائرية.

www.beniznassen.com

> «وجدة مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح جدّا، على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان محاذية غربا مفازة أنكاد، وأراضيها الزراعية كلها غزيرة الإنتاج، تحيط بها عدة حدائق غرست فيها على الخصوص الكروم وأشجار التين، ويخترقها جدول يشرب السكان من مائه ويستعملونه لأغراض أخرى، وكانت أسوارها في القديم متينة عالية جدا ودُورُها ودكاكينها مُتقنة البناء وسكانها أثرياء ومتحضرين وشجعانا، لكنها نهبت ودمّرت أثناء الحروب المتوالية بين ملوك فاس وملوك تلمسان، حيث كانت منحازة لهؤلاء. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أخذت وجدة تعمُر بالسكان وشيّدت فيها أكثر من خمسمائة دار آهلة. وسكانها فقراء لأنهم يؤدون الخراج إلى ملك تلمسان وإلى الأعراب المجاورين لهم بمفازة أنكاد، ويرتدون لباسا قصيرا خشنا شبيها بلباس الفلاحين، ويربّون عددا من الحمير الجميلة الكبيرة القامَة التي تنتج لهم بغالا جميلة عالية تُباع في تلمسان بأغلى الأثمان، ويتكلمون باللغة الإفريقية القديمة وقليل منهم يحسن العربية الدارجة التي يتحدث بها أهل المدن».
>
> **المصدر** : الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج 2 ص 12-13

غير أن التوتر بين أتراك الجزائر وملوك المغرب استؤنف من جديد إبّان قيام الدولة العلوية، خاصة بعد أن انقسمت قبائل شمال شرق المغرب إلى مُوال للأتراك وإلى مناهض لهم خلال فترة ضعف السلطة المركزية المغربية في أواخر عهد الدولة السعدية، فسارع الفريق المناهض للأتراك إلى دعم السلطان العلوي مولاي مَحمد بن الشريف أثناء محاولة بسط نفوذه على شمال شرق المغرب في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، حيث هزم المناصرين للأتراك بشمال شرق المغرب وغزا مدينة تلمسان، مما أغضب أتراك الجزائر، فصارت بذلك الجهة الشرقية مصدر توتر بين الدولة العلوية الناشئة وأتراك الجزائر. وأضحت تتجاذبها سلطتان متنافستان :

سلطة الأتراك من جهة الشرق وسلطة الدولة العلوية الناشئة من جهة الغرب.

ومن الأمور المعروفة من خلال المصادر المغربية، ذلك الالتزام الذي قطعه السلطان مولاي مَحمد بن الشريف على نفسه بعد ما استقبل سفارة دايْ الجزائر، حيث تعهّد بعدم اجتياز واد تافنا، وقد نقل لنا أحمد بن خالد الناصري نص الالتزام على لسان مولاي مَحمد، حيث ورد فيه ما يلي : «إني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم، ولا لرعيتكم بسوء، وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعتُ واد تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله».

الجهة الشرقية قاعدة لإرساء دعائم الدولة العلوية

تناقل الإخباريون وقائع المواجهات التي وقعت بين مولاي مَحمد وأخيه مولاي الرشيد في شرق المغرب في إطار تنازعهم على السلطة ونيل شرعية الحكم، حيث انتقل المولى الرشيد إلى شمال شرق المغرب بحثا عن الدعم والأنصار لدى قبائل الجهة الشرقية، وكذا الحصول على منفذ بحري على البحر المتوسط يمكّنه من توريد السلاح والذخيرة وكسب المعركة لصالحه، وهو ما تحقق له بعد أن ناصرته قبائل شمال شرق المغرب، حيث سقط مولاي مَحمد قتيلا في المواجهات التي جمعت بين الطرفيْن في بسيط أنكاد قرب مدينة وجدة، فصفا الملك للسلطان مولاي رشيد (1666-1672)، وقد شاعت رواية تفيد بأنه استفاد من أموال يهودي يُدْعى ابن مشعل، كان له نفوذ على قبائل الجهة الشرقية، واستأثرت حادثة ابن مشعل هذا باهتمام الإخباريين المغاربة من أمثال الإفراني في كتابه «نزهة الحادي» والزياني في كتابه «البستان الظريف»، وصارت هذه الحادثة محط دراسة وتحليل من جانب باحثين مغاربة وأجانب في القرن العشرين، حيث ربطوها بنشأة تقليد احتفالي كان يقيمه طلبة جامعة القرويين بفاس كل سنة، عُرف باسم سلطان الطلبة.

www.beniznassen.com

«ثار عليه (مولاي مَحمد) أخوه مولاي الرشيد بن الشريف بعرب أنجاد (وجدة) بعد أن كان تحت طاعته وفي خدمته، فوقع بينهما ما أوجب البغضاء إلى أن فرّ مولانا الرشيد منه خوفا على نفسه، ولم يزل يجول في البلدان طامعا في اقتناص المُلك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل (بني يزناسن)، فوجد فيها يهوديا من أهل الذمة له أموال طائلة وذخائر نفيسة وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين وأهله، فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي إلى أن أمكنه الله منه في قضية يطول جلبها، فقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه، فتقوّى بذلك عضده وتوافر جمعه....»

المصدر : الإفراني، نزهة الحادي، ص 201-202.

الجهة الشرقية مجال صراع بين الترك وسلاطين المغرب (ق17ـ18م)

تعددت حرْكات مولاي إسماعيل للجهة الشرقية درءا لأطماع أتراك الجزائر (1672ـ1727)، الذين كانوا يُغيرون من حين لآخر على وجدة ونواحيها، ويبسطون سلطتهم عليها كلما ضعفت السلطة المركزية المغربية، فبادر إلى تشييد عدد من القلاع والقصبات وتعميرها بالجند بهدف حمايتها من غارات الترك، وكان سعيه من وراء ذلك أيضا تطويع قبائل شرق المغرب وضبط الأمن في المسالك الرابطة بين فاس ووجدة، ولا زالت بعض هذه القلاع أو آثارها شاهدة على ذلك، منها قصبة العيون وقصبة تاوريرت إلى جانب آثار قصبة شرّاعة على الضفة اليمنى لواد ملوية، كما شيّد هذا السلطان قلاعا غرب الواد المذكور، منها على وجه الخصوص قصبة سلوان جنوب مدينة الناضور وقصبة جنادة جنوب غرب مليلية المحتلة، وتعرف هذه القصبة أيضا باسم قصبة فرْخانة نسبة لإحدى قبائل قلعية التي تستوطن المجال المحاذي للمدينة المحتلة.

قصبة سلوان

ساد الهدوء في المجال الحدودي أيام حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757ـ1790)، الذي نسج علاقة ودّية مع السلاطين العثمانيين، مما انعكس إيجابا على العلاقة مع أتراك الجزائر. لكن سرعان ما تجدّد التوتر بين الطرفين في نهاية القرن 18م، غير أن السلطان مولاي سليمان(1792ـ1822) استرجع نفوذ الدولة على المجال الحدودي، حيث أمّن المسالك المؤدية إلى المشرق أمام التجار وركب الحجيج، الذين كانوا يمرّون بناحية وجدة، فقلدّ أبا القاسم الزياني ولاية وجدة التي كانت في حيّز الإهمال، وبذلك أخرج الجهة الشرقية من دائرة النفوذ التركي بشكل نهائي، وفي هذا السياق فقد اعتبر بعض الإخباريين المغاربة (الزياني الناصري) مدينة وجدة ثغراً من ثغور المغرب في مواجهة أتراك الجزائر، الذين اضطروا إلى الاعتراف بسلطة المخزن المغربي على المنطقة الشرقية، وهذا ما أكده خطاب داىْ الجزائر إلى السلطان مولاي سليمان حسب ما أورده أبو القاسم الزياني، حيث خاطبه بما يلي : «تركنا لكم ما كان لكم من قديم الزمان».

مواجهة التوسع الفرنسي (4481ـ0381)

ما أن استتبّ الأمر في الجهة الشرقية في مطلع القرن التاسع عشر، حتى داهَمَ المنطقة خطرُ التوسع والاحتلال، بعد أن سقط حكم الترك بالجزائر سنة 1830 عقب الاحتلال الفرنسي للقطر المجاور، ويدخل هذا الاحتلال في سياق الهجمة الإمبريالية الأوربية

www.beniznassen.com

« ولما وقع بأهل الجزائر ما وقع، اجتمع أهل تلمسان وتفاوضوا في شأنهم واتفقوا على أن يدخلوا في بيعة السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله، فجاءوا إلى عامله بوجدة القائد أبي العلاء إدريس بن حمّان الجراري، وعرضوا عليه أن يتوسّط لهم عند السلطان في قبول بيعتهم والنظر لهم بما يصلح شأنهم ويحفظ من العدو جانبهم، ثم عيّنوا جماعة منهم للوفادة على السلطان تأكيدا للطلب واستعجالا لحصول هذا الأرب، فقدموا على السلطان بمكناسة غُرّة ربيع الأول من السنة المذكورة (1246 هـ / 1830م)، فأكرم السلطان وفادتهم وأجلّ مَقدَمَهم، ولما صرّحوا له عن مُرادهم توقف في ذلك رحمه الله، وكان هَواهُ إلى قبولهم أمْيَل، إلا أنه أراد أن ينبني ذلك على صريح الشرع كما هي عادته، فاستفتى علماء فاس، فأفتى جلهم بنقيض المقصود ورخّص له بعضهم في ذلك، فأخذ السلطان رحمه الله بقول المرخِّص.... ».

المصدر : أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، ج 9، ص 27

على القارة الإفريقية في إطار تقسيم مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية الكبرى آنذاك، خاصة بريطانيا العظمى وفرنسا. وقد أبدى السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822ـ1859) استعدادا للدفاع عن حوزة المسلمين بغرب الجزائر، بعد أن استنجدوا به قصْد حمايتهم، حيث وفدَ على حضرته وفدٌ من أعيان تلمسان بغرض تقديم البيعة له. وبعد أن استفتى علماء فاس في أمر قبول هذه البيعة أو ردّها، أخذ بفتوى الفريق الذي رخص قبول البيعة، بصفته أمير المؤمنين وحامي الملة والدين.

كان الغرض من التدخل المغربي بغرب الجزائر بعد احتلالها سنة 1830 هو حماية القبائل التي احتمت بسلطان المغرب، وفي الوقت ذاته حماية شرق المملكة من أي هجوم محتمل قد يشنّه الجيش الفرنسي على تلك الناحية، خصوصا بعد أن أضحى المغرب جاراً لأحد أكبر الدول الاستعمارية آنذاك، ألا وهي فرنسا التي اعتبرت بلاد الجزائر مقاطعة ضمن مقاطعاتها الفرنسية.

ومنذ هذا التاريخ (1830) صارت الجهة الشرقية واجهة للدفاع عن حرمة البلاد وسيادتها، فحرّض السلطان قبائلها على مقاومة المحتلين والتضييق عليهم، وعزّز الحضور العسكري المغربي بمدينة وجدة وناحيتها، خاصة بعد أن شرعت فرنسا في استمالة قبائل غرب الجزائر، حيث خلقت انقسامات بينها، وفي الوقت ذاته بادرت إلى الضغط على السلطان لسحب قواته من ناحية تلمسان، فكان لها ما أرادت، غير أن سلطان المغرب لم يتخل عن دعم المجاهدين بغرب الجزائر، حيث صار يحث القبائل المتاخمة للحدود على المقاومة ومناهضة المستعمر، وفي الوقت ذاته أمدّ عبد القادر بن محيي الدين الجزائري بالمال والعتاد للقيام بالمهمة ذاتها، بعد أن نُوديَ به أميراً للجهاد بغرب الجزائر. مما أجّج التوتر بين المغرب وفرنسا بالجهة الشرقية، وأفضى إلى أكبر مواجهة عسكرية عرفها المغرب في منتصف القرن التاسع عشر، جرَت وقائعها غير بعيد عن مدينة وجدة.

السلطان عبد الرحمان

إيسلي : مواجهة عسكرية على خلفية مشاكل الحدود (1844)

ارتفعت وتيرة التوتر بين المغرب وفرنسا بالجهة الشرقية، خاصة بعد أن شرعت الجيوش الفرنسية تزحف نحو المجال الحدودي القريب من مدينة وجدة، وصارت تهدد التراب المغربي بدعوى مطاردة عبد القادر الجزائري، الذي اتخذ من شمال شرق المغرب قاعدة خلفية له منذ سنة 1842، وأضحى هذا التهديد حقيقة بعد أن صار شرق البلاد عُرضة لغارات الجيش الفرنسي، فاعتبر المغرب ذلك انتهاكا لسيادة مملكته، بناء على أن واد تافنا كان بمثابة الحدّ بين مملكة الترك ومملكة المغرب، فكان ذلك مَدْعاةً لظهور مشكل الحدود.

وقد برز مشكل الحدود بشكل لافت للنظر عقب إقدام الجيش الفرنسي على بناء مُعسكر له عند ضريح الحاجة لـلاّ مغنية على الضفة اليسرى لواد تافنا في شهر أبريل 1844، حيث كان مجرى هذا الواد يشكل الحد بين المغرب والجزائر أيام حكم الأتراك. وترتب عن ذلك تجدّد المواجهات العسكرية في شهر مايو 1844، واقتحمت بعد ذلك القوات الفرنسية مدينة وجدة لأول مرّة يوم 18 يونيو 1844، غير أنها سرعان ما انسحبت منها يوم 21 من الشهر ذاته، وسبق ذلك أن شنّت غارات على قبائل بني يزناسن وغيرها من قبائل المجال الحدودي، ثم تقدّمت الحكومة الفرنسية بشروط لكف عدوانها عن قبائل شرق المغرب، من بينها عزل عامل وجدة ومنع عبد القادر الجزائري من اللجوء إلى التراب المغربي، وأمام هذه المستجدات الخطيرة على ناحية وجدة، تعززت القوات المغربية المرابطة قرب المدينة المذكورة، حيث وصل خليفة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى وجدة في بداية شهر غشت 1844، مدعوما بقوات نظامية وبأعداد كبيرة من المتطوّعين من مختلف القبائل. فطالبت فرنسا بتسريح تلك القوات وإبعادها عن مناطق الحدود، وقد واجه السلطان هذا المطلب بوجوب إخلاء ضريح لـلا مغنية وانسحاب الجيش الفرنسي نحو الضفة اليمنى لواد تافنا، ونظرا لتعارض موقفيْ الجانبيْن بخصوص هذه القضية، صارت المواجهة العسكرية بينهما حتمية، بالرغم من الوساطة البريطانية التي كانت تسعى إلى الحيلولة دون ذلك.

معركة إيسلي

وقد أدت المناوشات المتكررة بين الطرفين إلى أن أعلنت فرنسا الحرب على المغرب، وكان هذا القرار مسبوقا بقصف مدينة طنجة يوم 6 غشت 1844، وتلاه قصف مرسى الصويرة وإنزال قوات فرنسية بجزيرتها يوم 15 غشت 1844، أما المعركة الحاسمة، فقد جرت وقائعها يوم 14 غشت 1844 على مجرى واد إيسلي جنوب غرب مدينة وجدة، حيث اندفع الجيش الفرنسي نحو معسكر الجيش المغربي الذي كان على رأسه نجل السلطان وخليفته سيدي محمد، وقُدرت أعداد الجيش الفرنسي بحوالي عشرة آلاف جندي، مُدجّجة بأحدث أسلحة ذلك العصر، وكان مخطط قائد القوات الغازية الجنرال بوجو (Bujeaud) يسعى إلى محاولة الالتفاف على الجيش المغربي المرابط على مقربة من مدينة وجدة بهدف محاصرته، وبعد أن زحفت القوات الفرنسية نحو وجدة ليلا صارت وجها لوجه مع القوات المغربية صبيحة يوم 14 غشت 1844، فاندلع القتال صبيحة اليوم نفسه، وقد أظهر أفراد القوات المغربية النظامية والمتطوعين استماتة كبيرة، وخاصة الفرسان منهم، إلا أن التفوّق في العتاد الحربي واعتماد خطط حربية حديثة رجحت كفة الغزاة، فتراجعت القوات المغربية بكيفية غير منظمة، فكانت معركة إيسلي حسب تعبير الناصري «مصيبة عظمى وفجيعة كبيرة لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها».

www.beniznassen.com

«ولما طلع الفجر وصلى الخليفة الصبح جاء عشرة من الخيل، قيل من العرب وقيل من حرس الخليفة، فأعلموا بمجيء العدو وأنهم تركوه قد أخذ في الرحيل، فأمر الخليفة رحمه اللّه الناس بالركوب وأن لا يبقى بالمحلة إلا الرماة وكانوا دون الألف، وبعث إلى بني يزناسن بالركوب فركبوا في ألوف كادت تساوي جيش الخليفة، وصارت الخيل نحو العدو مصطفة مَدّ البصر، ورإياتها تخفق على هيئة عجيبة وترتيب بديع، وكان الخليفة سائرا في وسطهم ناشراً المظلة على رأسه راكبا على فرس أبيض، وعليه طيْلسان أرجواني قد تميّز بزيّه وشارته، ولما تقارب الجيشان جعلت الفرسان تبرز من الصفوف كأنما تتعجّل القتال، فأمر الخليفة رحمه اللّه بالسكينة والوقار والسير بسير الناس. ثم لما التقى الجمعان وانتشبت الحرب رصد العدو الخليفة وقصده بالرمي مرات عديدة حتى سقطت بُنبَة أمام حامل المظلة وجمح فرسه به وكاد يسقط، ولما رأى الخليفة ذلك غيّر زيّه بأن أسقط المظلة ودعا بفرس كميت فركبه ولبس طيْلسانا آخر فاختفى حينئذ،.... فتقدم بعض الحاشية إلى الخليفة وقال له: ياامولانا إن الناس قد انهزموا وهم الآن بالمحلة يقتل بعضهم بعضاً ويسلب بعضهم بعضاً، فقال ياسبحان اللّه، والتفت فرأى ما هاله من أمر الناس، فرجع عوده على بدئه، وانهزم من كان قد بقي معه عن آخرهم وتبعهم العدوّ يرمي الكور والضوبلي من غير فترة... ولما استولى العدوّ على المحلة فرّ النهّاب الذين كانوا بها وبقيت في يده بما فيها، وكانت مصيبة عظيمة وفجيعة كبيرة لم تُفجع الدولة الشريفة بمثلها، وكان هذا الحادث العظيم في الساعة العاشرة من النهار منتصف شعبان سنة ستين ومائتين وألف».

المصدر : الناصري، الاستقصا، ج 9 ص 52 53.

كان لهذه الحرب انعكاس كبير على المغرب وفاتحة عهد جديد في علاقته مع الدول الأوربية وفي مقدمتها فرنسا، كما كان لهذه الحرب وقع كبير على ساكنة شمال المغرب الشرقي من واحة فكيك إلي سلوان (إقليم الناضور) بشرق الريف، خاصة بعد أن ذاع بين قبائل تلك المنطقة قاطبة خبر توقيع معاهدة الصلح بين المغرب وفرنسا بطنجة (10 شتنبر 1844)، والتزاماً بشروط هذا الصلح دعا السلطان عبد الرحمان قبائل شمال شرق المغرب إلى مهادنة السلطات الفرنسية بالجزائر وترك الجهاد والتخلي عن نصرة عبد القادر الجزائري، وإذا كان السلطان قد أذعن لشروط الصلح، وفي مقدّمتها الالتزام بالسلم ومهادنة العدوّ، فإن المقاومة الشعبية ظلت مشتعلة، فكانت فرنسا تتهم السلطان بأنه مارس خطاباً مزدوجاً، حيث أعلن الهُدنة والتزم بقبول السلم في الخطاب الرسمي، لكنه ظل يشجع قبائل التخوم الشرقية على المقاومة والوقوف بالمرصاد للمعتدين على حرمة البلاد. ومن المفارقات التي لم تتفهمها قبائل الحدود الشرقية، الدعوة إلى الالتزام بالهدنة وفي الوقت ذاته تحريم إجراء المعاملات التجارية مع غرب الجزائر المحتل، حيث اعتبر السلطان ذلك مصيبة من أعظم المصائب، فدعا القبائل المعنية إلى «مقاطعة الكافر ومُصارمة أهل شيعته»، وهذا أيضا يُعدّ جهاداً في نظر السلطان، وقد اختلط الأمر على قبائل الحدود بسبب التناقض الظاهر في سياسة المخزن، فهو من جهة يهادن فرنسا، ومن جهة ثانية يحذر تلك القبائل ويمنعها من التعامل مع السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة، وقد ترتب عن هذا الواقع بوادرُ قطيعة بين السلطان و«رعيته» بشرق المغرب، مما أدى إلى تفكك الروابط التقليدية التي كانت تجمع بين السلطان وتلك القبائل، وقد ساهم عبد القادر الجزائري في هذا التباعد بين الجانبين عقب معركة إيسلي.

❑ محاولة إحداث إمارة جزائرية بشرق الريف (إقليم الناضور) (1844ـ1847)

طفت على السطح بوادر القطيعة بين السلطان عبد الرحمان بن هشام وعبد القادر الجزائري قبيْل معركة إيسلي، حيث لم ينخرط هذا الأخير في المعركة، بل تتفق جميع الروايات على أن الأمير عبد القادر ظل يراقب المواجهة من بعيد، ويُعزى ذلك الموقف إلى سوء تفاهم وقع بينه وبين قائد القوات المغربية سيدي محمد بن عبد الرحمان بشأن كيفية تدبير المعركة، حيث لم يؤخذ بآرائه المبنية على تجربته في مقاومة الجيش الفرنسي.

www.beniznassen.com

وقد بلغ غضب الأمير أشدّه بعدما التزم السلطان عبد الرحمان بأحد بنود الصلح، الذي يقضي باعتبار الأمير خارجاً عن القانون، فتعهّد بالقبض عليه أو إبعاده عن منطقة الحدود، طبقا للبند الرابع من معاهدة الصلح المذكورة. وكان الأمير قد استمال إليه جل قبائل شمال شرق المغرب، خاصة بعد أن ظل يدعو إلى الجهاد وعدم الاستسلام، وهو ما أغضب سلطان المغرب، حيث اعتبر الأميرَ مسئولا عمّا أصاب البلادَ والعبادَ، وقد انعكست القطيعة بين الجانبيْن على قبائل الجهة الشرقية، إذ عزمت بعض القبائل على الخروج عن طاعة السلطان والدخول في طاعة الأمير بعد توقيع الصلح والالتزام بالمهادنة، حيث إن الواقع المعيش في المجال الحدودي أكد للقبائل قوة حجة الأمير عبد القادر الجزائري، الذي اعتبر مهادنة العدوّ (فرنسا) تخاذلا من جانب المسلمين وإهمالا لحقوقهم، ولذلك صار من الصعب إقناع قبائل الحدود بترك الجهاد وقبول الأمر الواقع. ولكسب مزيد من الأتباع والأنصار من بين قبائل الجهة الشرقية، استفتى الأميرُ عبد القادر علماء مصر في أمر الجهاد، فأفتوا بنقض الصلح مع العدوّ وعدم ترك الجهاد، فمالت إليه جل قبائل شرق المغرب.

كما استفاد الأمير عبد القادر من الوضع الذي آلت إليه الجهة الشرقية عقب معركة إيسلي، بعد أن تشتت الجيش المغربي، وفرّ رجال المخزن من وجدة، حيث أضحى شمال شرق المغرب بدون تمثيل فعلي لسلطة الدولة، فكان الظرف مناسباً لمحاولة تأسيس إمارة في شرق المغرب بزعامة الأمير عبد القادر الذي اتخذ من شرق الريف مركزاً لسلطته (إقليم الناضور).

إقليم الناضور

« قد قدمنا ما كان من فساد نيّة الحاج عبد القادر وأنه رام الاستبداد، بل التملّك على المغرب، فلما كانت الهزيمة بإيسلي ازداد طمعه، فصار يدعو أهل النواحي إلى مبايعته والدخول في طاعته، وكاتب الخواصَ من أهل فاس والدولة وكاتبوه على ما قيل، ثم احتال بأن بعث جماعة وافرة من الحشم وبني عامر شيعته إلى السلطان، قدّمهم أمامه في صورة هرّاب مستجيرين بالسلطان، فقبلهم السلطان وأنزلهم على نهر سَبُو...وكان قصده أن يجتمع بشيعته ويصل يدهم بيده ويتم له ما أراد،....وبعد هذا وجه السلطان ولده (الخليفة) سيدي محمد لحسم دائه في جيش كثيف.. ولما وصل الخليفة إلى سلوان، بعث إليه الحاج عبد القادر جماعة فيهم وزيره أبو عبد الله البوحميدي يتنصّل مما رُميَ به وأنه لا زال على الطاعة والخدمة للسلطان... »

المصدر : الناصري، الاستقصا، ج 9 ص 56.

وقد ادعى الأميرُ أن المنطقة التي استقرّ بها لا تنالها الأحكام المخزنية -أي هي منطقة سائبة غابت عنها سلطة الدولة المغربية- ووجد في قبائل شرق الريف (إقليم الناضور) مساندة قوية لاعتبارات سُلالية، حيث روّجت بعض الروايات أن أصول الحاج عبد القادر تعود إلى الريف، كما لقي مساندة غير مشروطة من طرف قبائل بني يزناسن وقبائل الحدود عامة، بحكم ما لحقهم من ضرر بعدما فقدوا ممتلكاتهم ومجال رعْيهم الذي صار تحت تصرّف السلطات الفرنسية بغرب الجزائر. إذ ذاك قرر السلطان عبد الرحمان إخراج الأمير بالقوة من الجهة الشرقية، وفي ذات الوقت حاول أن يُنفّر من حوله قبائل شرق المغرب، حيث حمّله مسئولية كل ما أصابهم من تعدي الجيش الفرنسي بسبب احتمائه بهم، ودعاهم إلى قتاله وإخراجه من بلادهم هو وأتباعه، وكان الجنرال «بوجو» قد هدّدهم وتوعّدهم بالغزو إن لم يطردوا الأمير من بلادهم، وكان هذا الأخير قد استهوى القبائل الشرقية بالدعوة إلى الجهاد ولبّس على بعضهم أنه ضيف وأخ في الإسلام نزل بساحتهم، وفي بعض الأحيان كان يمارس عليهم الضغط ويستفزهم بالطمع، وقد ذهب به الأمر

www.beniznassen.com

إلى أخذ العهد من بعض القبائل من أجل الدفاع عنه، فأفسد نيتها وولاءها للسلطان، غير أن هذا الأخير قد توفق إلى إقناع قبائل الجهة الشرقية تارة بالترغيب وتارة بالترهيب، فامتثلوا لأمره في نهاية المطاف وضيّقوا الخناق على الأمير وجيشه بشرق الريف(إقليم الناضور)، وطردوه في أواخر شهر دجنبر 1847 من مُستقرّه بسلوان فعبر واد ملوية راغباً في الاستسلام للجيش الفرنسي، فكان له ما أراد يوم 23 دجنبر 1847، وبذلك استعاد المخزن سلطته على قبائل شمال شرق المغرب، إلا أنها أصبحت صعبة المراس بسبب مجاورتها للسلطات الفرنسية بالجزائر، فأثر ذلك على علاقتها بالمخزن طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

❑ رسم الحدود وأثره على الجهة الشرقية (18 مارس 1845)

كان شمال شرق المغرب مسرحا لأحداث خطيرة عقب احتلال الجزائر، كان آخرها حرب إيسلي وما أعقبها من اتفاق بشأن خط الحدود بين المغرب والجزائر يوم 18 مارس 1845 بالموقع المعروف باسم لـلا مغنية، حيث فرضت فرنسا على المغرب اتفاقا تميّز بكثير من الحيف، ومن المعلوم أن قبائل الجهة الشرقية لم تكن تدرك قبل هذا التاريخ مفهوم الحدود بكل أبعاده التي كانت مألوفة بين الدول الأوربية. إذ رسمت هذه الاتفاقية لأول مرة في تاريخ المغرب حدوداً سياسية وجغرافية بين بلدين إسلاميين يجمعهما إرث تاريخي مشترك، حيث إن قبائل غرب الجزائر وقبائل شرق المغرب كانت تشكل في غالب الأحيان وحدة عرقية، وكان تعاملها فيما بينها لا ينبني على مراعاة مفهوم الحدود كما كان متداولا بين الدول الأوربية.

أحدث مضمون اتفاقية الحدود صدمة كبيرة بين قبائل شرق المغرب، خاصة تلك القبائل التي أصبحت بعض أراضيها ومراعيها ضمن التراب الجزائري، بعد أن أضحى واد كيس يشكل خط الحدّ بين المغرب والجزائر، ويقع هذا الواد غرب واد تافنا، الذي كان يشكل

« **الشرط الأول** : أتفق الوكيلان على إبقاء الحدود بين إيّالتيْ المغرب والجزائر كما كانت سابقا بين ملوك الترك وملوك العرب السابقين، بحيث لا يتعدّى أحد حدود الآخر، ولا يحدث بناء في الحدود في المستقبل ولا تمييز بالحجارة، بل تبقى كما كانت قبل استيلاء الفرانصيص على مملكة الجزائر.

الشرط الثاني : عيّن الوكيلان الحدود بالأماكن التي في مَمرّ الحدادة، وتراضيا عليها بحيث أنها صارت واضحة معلومة كالخيط، فما كان غربيّ الخط يعني الحد فلإيّالة مملكة الغرب، وما كان شرقيّ الحد فلإيّالة مملكة المشرق. »

المصدر : معاهدة للا مغنية، 18 مارس 1845.

الحد المتفق عليه أيام حكم الأتراك بالجزائر، وقد كشف الواقع أن أراض واسعة في ملكية قبائل مغربية اقتُطعت من التراب المغربي، ورغم احتجاج سلطان المغرب وتحفظه على بعض بنود الاتفاقية المذكورة، وتماطله في المصادقة عليها، إلا أن منطق القوة والغلبة الذي مُورس عليه من جانب فرنسا فرض عليه الاعتراف بالأمر الواقع.

« وبعد، فإن حميدة بن علي عامل وجدة مع الطالب أحمد الخضر خدعهما نائب عدوّ الدين فيما كلفناهما به من الوقوف معه على الحدود، وغرّهما على عادته بتُرّهاته وبذل الطمع، حتى أدخل في الحد طرفا وافراً من بلاد قبائل إيّالتنا السعيدة لناحية بلاد الجزائر، وغرّهما حتى طبع له حميدة على الرسم الذي أتى به، ونحن كنا فوّضنا له ظناً منّا أنه يقف على حقوق المسلمين لعلمه بالبلاد وأهلها، مع تقديمنا له المَرّة بعد المَرّة أن الحد يكون على ما كان بين دولتنا ودولة الترك أيام ولايتهم، وأمرناه بالتقصّي في ذلك وسؤال القدماء والأعيان من أهل البلاد المجاورة لهم، ولا يتكلم معهم حتى يستوعب ذلك، فصدر منه ما صدر غفلة منه وبلها، ونحن لم نرض ذلك ولا نوافق على تسليم بلاد قبائل إيّالتنا التي كانوا يتصرّفون فيها خلفا عن سلف، وقد تحيّن عدو الدين

www.beniznassen.com

سفر أعيان تلك القبائل حتى وردوا لحضور العيد بحضرتنا الشريفة، وطلب منه ذلك ليغرّه، ولما قُرِئَ عليهم الحدّ هنا لم يرضوه، ولم يقبلوه، وهاهم متوجّهون، ويقفون على حدود بلادهم مع جوارهم، فإنهم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، وحين يكون الوفاق على حدود الترك المعلومة حينئذ يتم الفصل ويمضي الأمر حسب ما في كتاب التفويض، فأعلمْ قونصُ جنس الفرانصيص بذلك لئلا يعتقد تسليمنا لما فعلوا خداعا ومكرا، وزادوا مع ذلك مجاراته في أمر البيع والشراء بين الإيّالتيْن بما لم نأذن لهم فيه ولم نعرّج عليه، ولا خير للمسلمين فيه، وقسْ على هذا أمر الباشدور الذي تشير بتوجيهه، فإنما يفعل مثل هذا وأقبح، قد فسُدَ الزمان وأهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وفي 27 ربيع الأول 1261 هـ.

المصدر : رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نائبه بطنجة، دورية الوثائق، عدد1، ص 487.

أما قبائل شرق المغرب المتضررة من اتفاقية الحدود، فظلت ترفع لواء الجهاد، ولم تلتزم باحترام الصلح والمهادنة، وكان هدفها هو الدفاع عن حقوقها في استغلال أراضيها التي صارت ضمن التراب الجزائري، ولا بد من الاعتراف بأن اتفاق الحدود أدخل قبائل الحدود في دوّامة من النزاعات مع القبائل الجزائرية، التي ترامت على أراضيها بإيعاز وحماية من الجيش الفرنسي. فكانت بذلك عُرضة لعدة غارات فرنسية، كان أعنفها ما وقع سنة 1859، حيث توغلت الجيوش الفرنسية في أعماق جبال بني يزناسن واحتلت مدينة وجدة، لكن سرعان ما انسحب الغزاة عنها تحت ضغط المقاومة وآثار وباء الطاعون. وقد مورست على قبائل شرق المغرب ضغوط قوية من جانب السلطان لقبول رسم الحدود، وفي ذات الوقت قُدّمت لها ضمانات لحفظ حقوق أملاكها التي أصبحت ضمن التراب الجزائري، وصار لها الحق في استغلالها كما تشاء على أن تدفع الضرائب للسلطات الفرنسية بالجزائر، وفي ذلك اعتراف برسم خط الحدود المستحدث سنة 1845.

وقد ترتبت عن اتفاقية الحدود آثار سلبية على القبائل من حيث الانتماء الوطني (المغرب أو الجزائر)، حيث كثيراً ما وقع تقسيم القبيلة الواحدة، وصار خط الحدود يفرّق بينها، وهكذا أضحت بعض فصائل قبائل بني يزناسن وأنكاد والمهاية ضمن سكان غرب الجزائر بعد أن فُصلوا عن إخوانهم بواسطة خط الحدود. ويبقى أكبر برهان على هذا الواقع الجديد ما تعرضت له قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي قسمت إلى قسميْن : أولاد سيدي الشيخ الشراكة وهم تابعون للجزائر وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وهم تابعون للمغرب. وقد رفض هؤلاء هذا التقسيم، وأعلنوا ثورة ضد الجيش الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر، وتبقى أعنف ثورة هي تلك تزعمها الشيخ بوعمامة سنة 1882. فإذا كان هذا هو حال المجال الحدودي الفاصل بين المغرب والجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فإن الوضع الذي آل إليه المجال الواقع غرب مصب واد ملوية (إقليم الناضور) أصبح ينذر بكثير من المخاطر، حين أضحت إسبانيا تحاول تقليد السياسة الاستعمارية الفرنسية في تلك الجهة، وهو ما أشعل فتيل الحرب بينها وبين قبائل قلعية.

التوسع الإسباني خارج أسوار مليلية (شرق الريف)

في منتصف القرن التاسع عشر صار شمال شرق المغرب مُهدّدا بالاحتلال من طرف فرنسا من جهة الشرق ومن طرف إسبانيا من جهة الشمال الغربي، وفي هذا الإطار لم يسلم الجزء الواقع بشرق الريف (إقليم الناضور) من أطماع توسعية إسبانية، على الرغم من أن إسبانيا كانت من الدول الأوربية الفقيرة والمتخلفة، إلا أن هزيمة إيسلي أمام فرنسا أيقظت أطماعها الاستعمارية في المغرب، فاعتبرت أن شرق الريف يدخل ضمن مجال نفوذها، مستندة في ذلك إلى قاعدتها العسكرية المنتصبة بمدينة مليلية المحتلة منذ سنة 1497. وقد عانت هذه القاعدة كثيرا من الحصار الذي كانت تفرضه عليها قبائل قلعية، وأيضا من الحملات التي كان يجهزها سلاطين المغرب من حين لآخر لاسترجاع المدينة المحتلة، وكان آخرها ما وقع في منتصف القرن الثامن عشر على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وهكذا بعد أن كانت القوات

www.beniznassen.com

الإسبانية محاصرة داخل قلعة مليلية المحصّنة، تحولت في منتصف القرن التاسع عشر إلى قاعدة لتوسيع رقعة الاحتلال الإسباني بشرق الريف، بعد أن أيقنت من ضعف المغرب وعجزه، غير أن قبائل قلعية ظلت لها بالمرصاد، فاتخذت اسبانيا ذلك ذريعة للشروع في الغزو.

وتدخل الأطماع الإسبانية في شرق الريف في سياق التسابق بين فرنسا وإسبانيا لاحتلال أطراف من التراب المغربي عقب غزو الجزائر سنة 1830. حيث جهّزت فرنسا أسطولا حربيا لاحتلال جزر كبدانة الواقعة قبالة مصبّ واد ملوية في نهاية سنة 1847، وهي الجزر التي كانت تعرف قبل احتلالها بأسماء عدة : الجزر الجعفرية جزر فم ملوية أو جزر كبدانة، غير أن حكومة مدريد لم تكن غافلة عمّا كانت تخطط له الحكومة الفرنسية، فأرسلت أسطولا حربياً واحتلت تلك الجزر الثلاث يوم 6 يناير 1848 في الساعة العاشرة صباحاً، قبل وصول الأسطول الفرنسي ببضع ساعات، ورُفع العلم الإسباني فوقها إشهاراً إلى تبعيتها

« خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي، وفّقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالي وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا مُضمنه وعلمنا ما أخبرتَ به عن الصبنيول دمّره الله، وأنك انتظرتَ كَتْبَه إليك لتجيبه بمُضمّن ما أجيبَ به من حضرتنا الشريفة وقدّمناه لك، فلم يفعل حتى ثبت عندك تعدّيه بالشروع في البناء بجزر ملوية، فكتبتَ له في ذلك فأجابك بما في كتابه الواصل إليك ولا طائل تحته، ولعله كتب لجنسه في ذلك حتى ينظر ما يُجاب به، فاعلمْ أن هؤلاء النصارى دمّرهم الله وقبّحهم كانوا يتحرّوْن في كلامهم ويسلكون مسلك الصدق ويتحاشوْن أن يقبض في يدهم كذب أو انحراف، والآن خرجوا عن القانون المعهود منهم في التحرّي وصاروا لا يضبطون قوْلا ولا فعلا، أهلكهم الله وخيّب سعيهم، هذا وقد تقدّم لك أمرُنا الشريف بمخاطبة قُنْصُوْيْ الفرنصيص والنجليز، والسلام».

المصدر : رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نائبه بوسلهام بن علي بتاريخ 15 ربيع الأول 1264 / 20 فبراير 1848. دورية الوثائق، المجلد الثاني. م.س. ص 147.

للتاج الإسباني. ويذكّر هذا السلوك الاستعماري بفترة الكشوفات الجغرافية الكبرى التي قامت بها الأساطيل الإسبانية في القرن السادس عشر، حيث يوحي المخطط الإسباني بأن تلك الجزر لا مالك لها، وسارعت حكومة مدريد إلى إشعار الدول الكبرى ببسط سيطرتها على تلك الجزر، لتضعها أمام الأمر الواقع وتكسب اعترافها لها بذلك.

كشف موقف الحكومة المغربية إزاء هذا الحدث عن مدى العجز الذي استولى على «المخزن»، لمّا علم باحتلال تلك الجزر عن طريق البعثة الدبلوماسية الفرنسية بطنجة، وهو ما أكده عامل منطقة الريف ثم عامل وجدة فيما بعد، فاكتفى السلطان بالشكوى والاحتجاج، وقد نشر عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة عيّنات من الوثائق المخزنية المعبّرة عن تلك الاحتجاجات.

« كَلِّمْ قونصُ الصبنيول وقلْ له بلغ فلاناً أنكم أنزلتم الإقامةَ بالجزر التي على فم ملوية، وشرعتم في البناء مع أنك كتبْتَ له أوّلا بإصلاح ما تلاشى من أسوار مليلية وأبراجها وخنادق مائها لا غير، ولم تذكرْ غير ذلك، ولا زال كتابك تحت يده، وخيانة الوسائط من أعظم القبائح، تفسدُ الأعمال وتُحدِثُ الفتن، فإذا بكم بلغ عنكم من إنزال العسكر والإقامة لبناء أبراج أردتم إحداثها بالجزر المذكورة، ولم يعهد ذلك قديما ولا حديثا، ولا يَسعُ فلاناً السكوت عنه ولا يأذن فيه لأحد، إذ ليس بقانون ولا من شروط المهادنة والمَحبّة التي تزعمون، وإنما تسعون في التكدير، وربما يصدر من قبائل تلك النواحي شيء، فارجعوا عن هذا الأمر، وأكّدْ عليه في الجواب عن ذلك، وطالِعْنا بجوابه لنكون على بصيرة في الأمر.

المصدر : دورية الوثائق عدد 2 ص 148

أما الحكومة الإسبانية المَعنية بالتعدّي، فقد تجاهلت استفسارات المخزن بشأن احتلالها لجزر ملوية، بل أشاعت أخباراً، مفادُها أن السلطان هو من رخّص لها بالنزول بها، وسعت من وراء ذلك إلى تفادي أي ردّ فعل من قبائل كبدانة وقلعية المجاورين لتلك الجزر. ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لا زالت تلك الجزر ترزح تحت الاحتلال الاسباني كما هو الشأن بالنسبة لمدينة مليلية، التي عرف

www.beniznassen.com

مجالها توسُّعا كبيرا خارج قلعتها القديمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تجددت المناوشات بين الجيش الإسباني وقبائل قلعية، التي كانت تقف له بالمرصاد دفاعا عن أراضيها. وقد وقعت بين الجانبيْن مواجهات عنيفة سنة 1858، انتهت بتدخل المخزن، الذي عقد اتفاقا مع حكومة مدريد يوم 24 غشت 1858، ويقضي الاتفاق المذكور بمنح إسبانيا حق توسيع منطقة الاحتلال حول مليلية بمقدار مسافة طلقة مدفع، وهذا ما فتح شهية إسبانيا للمطالبة بضم مزيد من الأراضي المجاورة بحجة الدفاع عن النفس، بل طالبت بالاعتراف لها بمنطقة محايدة بين مليلية وقبائل قلعية. وهذا ما أدى إلى **تـجدد** المناوشات طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أخطرها ما وقع سنة 1893، حيث ألحقت قبائل قلعية هزيمة كبيرة بالجيش الإسباني الذي كان يعتزم ضم قسم من أراضيها، وهددت مدريد بإعلان الحرب على المغرب كما فعلت سنة 1860 حين أقدمت على احتلال مدينة تطوان،

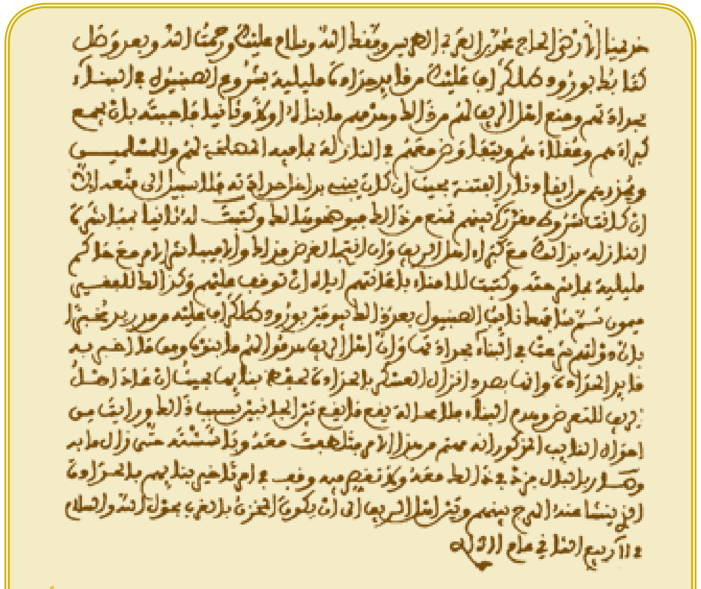

المصدر : رسالة السلطان مولاي الحسن إلى نائبه بطنجة بشأن أحداث مليلية سنة 1893، أصل الوثيقة محفوظ بخزانة تطوان تحت رقم : مح 12 / 40.

وحينئذ أوفد السلطان مولاي الحسن الأول سفارة إلى مدريد لتهدئة الوضع، ففرضت إسبانيا على المغرب غرامة مالية بالإضافة إلى التنازل لها عن أراض جديدة وإقامة حامية عسكرية مغربية ببلاد قلعية لحملها على قبول الهدنة مع الجيش الإسباني. وفي هذا السياق أحيى المخزن قصبة فرخانة (جنادة) القريبة من مليلية وعمّرها بالعسكر، الذي ظل يرابط بها إلى مطلع القرن العشرين.

❑ تعزيز الحضور المخزني بالجهة الشرقية

بعد أن أصبح شمال شرق المغرب مُهدداً بالاحتلال من جانب فرنسا انطلاقاً من غرب الجزائر ومن جانب إسبانيا انطلاقا من مليلية، أبدى المخزن اهتماما كبيرا بهذه الجهة، وتجلى ذلك في عدة ميادين، في مقدمتها العمل على تعزيز حضور الدولة بالأطراف الشمالية الشرقية، وفي هذا الإطار زار السلطان مولاي الحسن الأول الجهة الشرقية مرتيْن، كانت الزيارة الأولى سنة 1874، حيث تفقـّد أحوال قبائلها وعيّن عددا من القواد والعمال، ثم عاود الزيارة سنة 1876 لإطفاء نار الفتنة بين قبائلها بسبب المنافسة على الزعامة، فنزل بقصبة سلوان في مرحلة أولى ثم رحل عنها نحو مدينة وجدة.

كما تعززت القصبات المخزنية بالعسكر لضبط الأمن، فكان هذا حال قصبة تاوريرت وقصبة العيون (الشرقية) وقصبة فرخانة جنوب غرب مدينة مليلية، كما شيّدت قصبات جديدة بمحاذاة خط الحدود مع الجزائر المحتلة آنذاك، وفي هذا الإطار انتهت أشغال بناء قصبة عند مصبّ واد كيس سنة 1883، اشتهرت باسم قصبة عجرود أو القصبة السعيدة، ووقع تحريف اسمها فيما بعد إلى اسم

مدخل قصبة السعيدية قبل ترميمه

www.beniznassen.com

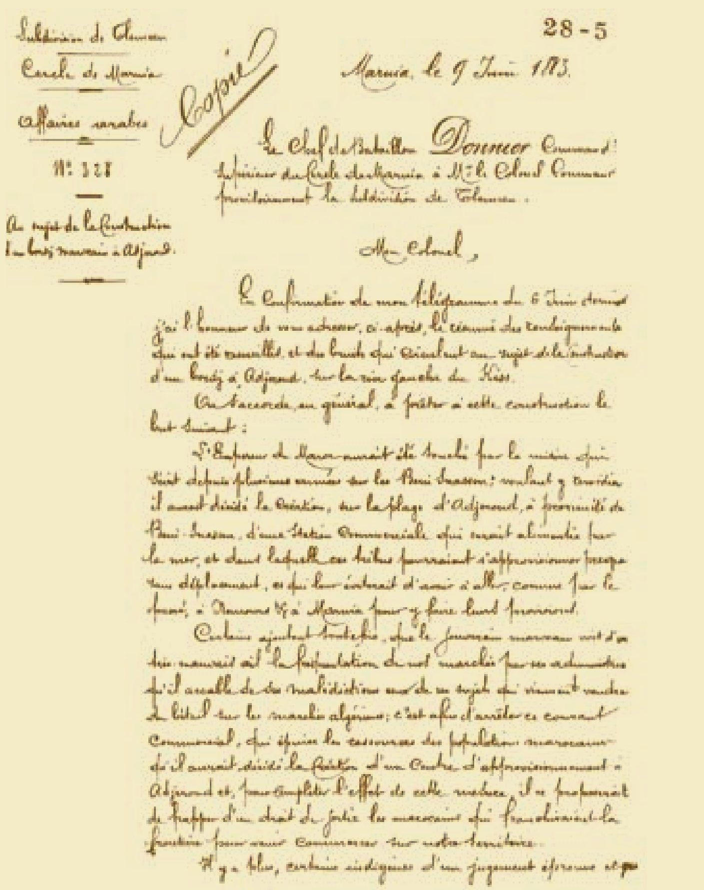
28 - 5

Copie

Marnia, le 9 Juin 18..

Mon Colonel,

المصدر : الصفحة الأولى من تقرير استخباراتي فرنسي بشأن الشروع في بناء قصبة السعيدية أرشيف وزارة الحربية الفرنسية فانسين رقم : 3h19.

السعيدية كما هو مشهور في وقتنا هذا. أما الغاية من تشييدها فهي أن تكون مَعلمة حدودية وفي ذات الوقت مركزاً لمراقبة خط الحدود ومحاربة التهريب مع غرب الجزائر، بل كان المخزن يخطط لبناء مرسى محاذي لقصبة السعيدية بمساعدة ألمانية، إلا أن فرنسا أفشلت هذا المشروع. وفي نهاية القرن التاسع عشر شيّد المخزن قصبة بموقع عين مطهر غير بعيد عن الحدود للغاية ذاتها، كما أقام حامية عسكرية بواحة فكيك لمواجهة التهديدات الفرنسية.

أهل الريف الشرقي يستنجدون بالسلطان، أصل الرسالة محفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط ضمن ملف الريف

اهتم المخزن بالجهة الشرقية مراعاةً لمعاناتها مع الفرنسيين من جهة الشرق ومع الإسبانيين من جهة الغرب، فتساهل مع قبائلها بحكم بعدها عن مركز السلطة، ووقوفها بالمرصاد لأي محاولة للمس بالتراب الوطني، فخصّها ببعض الامتيازات دون غيرها من القبائل المغربية، فكلما اشتدت فترات الجفاف والقحط بشرق المغرب -وهي فترات متلاحقة متتالية في غالب الأحيان- كان المخزن يرخص لتلك القبائل ببيْع نبات الحلفة بمراسي غرب الجزائر، ويسمح لقبائل شرق الريف بإجراء معاملات تجارية مع مدينة مليلية المحتلة، كما تنازل في بعض السنوات عن استخلاص الضرائب، فأسقطها عنهم رفقا لحالهم، كما أسقط عنهم رسوم التعشير كلما تعلق الأمر باقتناء حاجياتهم المعيشية الضرورية سواء من مليلية أو من غرب الجزائر.

كانت الغاية من هذه السياسة تمتين الروابط بين المخزن وقبائل الجهة الشرقية، بغية تفويت الفرصة على المتربّصين من فرنسيين وإسبان، الذين كانوا يسعون إلى اقتطاع أجزاء من التراب الوطني. حيث كثيرا ما حاولت السلطات الفرنسية خاصة استمالة بعض قبائل شرق المغرب وإغرائها بالامتيازات لربط علاقات تجارية معها ومدّ نفوذها الاقتصادي إلى أبعد حدّ داخل التراب المغربي في إطار مخطط استعماري.

www.beniznassen.com

وتجلى اهتمام الدولة المغربية بالجهة الشرقية أثناء المجاعات، حيث كان من الصعب تزويدها بالحبوب عبر المسلك الرابط بين فاس ووجدة، نظرا لبعدها عن مركز السلطة وعزلتها، ومما زاد في عزلة المنطقة أنها لم تكن تتوفر على مرسى مفتوح للتجارة يمكنها من توريد ما تحتاجه أثناء الأزمات، وتخفيفا من وطأة القحط والمجاعة كان السلطان يرخص بجلب الحبوب من غرب الجزائر أو من مليلية، على الرغم من غياب أي اتفاق ينظم العلاقة التجارية البرية. وعندما تشتد الأزمة كان السلطان يتدخل لإمداد قبائل شرق المغرب بالمساعدات الضرورية.

ولم تكن قبائل شمال شرق المغرب تجد بُدّاً من طلب مساعدة الدولة كلما اشتد عليها الأمر، خصوصا عندما تعجز عن استقدام ما تحتاجه من الحبوب من غرب الجزائر أو عن طريق مليلية، وبهذا الصدد احتفظ لنا الأرشيف المغربي بعيّنات من رسائل مخزنية في الموضوع.

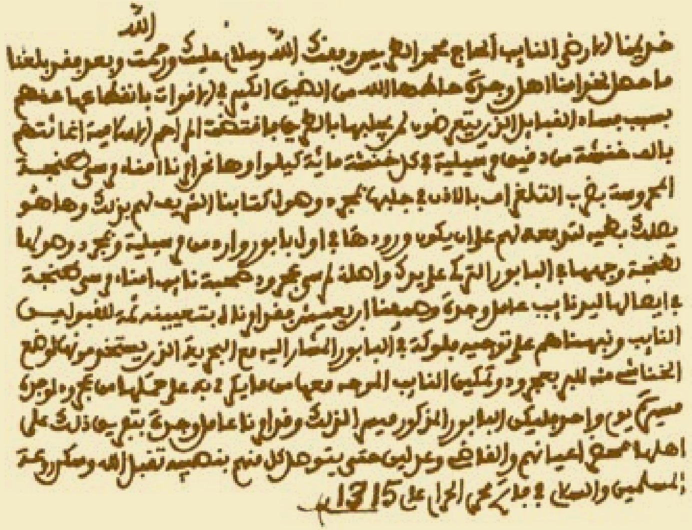

المصدر : رسالة السلطان عبد العزيز إلى نائبه بطنجة بهدف إرسال مساعدة غذائية لأهل وجدة، أصل الرسالة محفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، ملف وجدة.

شرق المغرب مسرح للثورات والفتن في مطلع القرن العشرين (1907-1900)

ثار على السلطة الشرعية في نهاية سنة 1902 بناحية تازة المدعو الجيلالي الزرهوني والمشهور باسم الروكي بوحمارة، ثم سرعان ما زحف نحو شرق المغرب لأسباب إستراتيجية تسمح له بالاتصال بالخارج (فرنسا وإسبانيا) والحصول على ما يحتاجه من سلاح وذخيرة. وكان الموقع المتميّز الذي يحظى به شمال المغرب الشرقي يستجيب لمشروع الثائر، فانقسمت قبائل شرق المغرب بين مؤيد ومناهض له، حيث غرّر بالقبائل بأنْ انتحل اسم مولاي مَحمد ابن السلطان مولاي الحسن الأول،

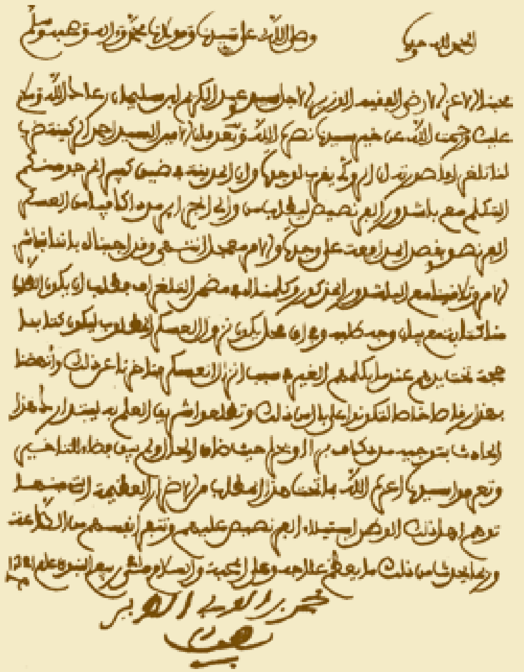

المصدر : رسالة نائب السلطان بطنجة إلى وزير الشؤون الخارجية عبد الكريم بن سليمان بشأن طلب المساعدة من الجيش الفرنسي لمواجهة تهديدات الثائر، بتاريخ 17 ـ6ـ 1903، أصلها محفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

www.beniznassen.com

وادعى أنه صنو السلطان عبد العزيز الذي استولى على مُلك أبيه واستبدّ به بعد أن رماه في السجن. وأذاع بين قبائل شرق المغرب أن حكومة السلطان عبد العزيز صارت موالية للأجانب وتعمل على نقل نظمهم وعاداتهم إلى البلاد، فناصرته بعض قبائل شرق الريف وقبائل بني يزناسن، مما أشعل الفتنة بين الجانبيْن، وحصل للثائر النصرُ بعد أن دخل مدينة وجدة سنة 1903 حيث فرّ رجال المخزن منها نحو غرب الجزائر، فبايعته عدة قبائل، وعيّن لها القوادَ من الموالين إليه. ورغم أن المخزن استطاع فرض سلطته على عمالة وجدة سنة 1905، إلا أنه أخفق في القضاء على الثائر، الذي تقوّى نفوذه بعد أن تحالف مع الشيخ بوعمامة الذي اعتبر نفسه خليفة له بناحية فكيك وأحوازها، حيث لم ينجح السلطان في إقناع قبائل التخوم بطرد بوعمامة من بلادهم، نظرا لما كان يتظاهر به من التنسّك والدعوة إلى الجهاد، بعد أن نصّب نفسه وريثا للزاوية البوشيخية الأم، فأسّس فرعا لها في شرق المغرب مُدّعيا تجديد طريقة أسلافه، وكان له أتباع ومريدون كثيرون بمنطقة الظهْرا فضلا عن المهاجرين الجزائريين المرافقين له، فكان الناس يتطلعون إلى ملاقاته والتبرّك به والمبالغة في إكرامه رغم أوامر السلطان بعدم استقباله.

وبعد خروج الثائر من وجدة اشتدت المواجهات بين أنصاره وأنصار المخزن الشرعي، فعمّت الفوضى والاضطرابات شمال شرق المغرب، حيث انسحب إلى قصبة سلوان (إقليم الناضور) واتخذها مستقرا لحكومته، وأشاع بين قبائل قلعية أنه جاء ليخلصها من تسلط الجيوش الإسبانية الغازية.

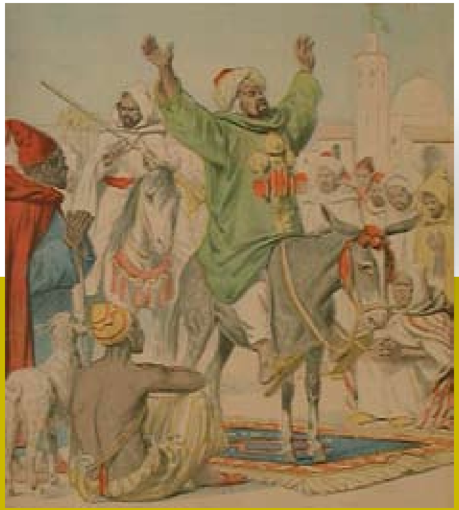

لوحة تصوّر الثائر الروكي سنة 1902، نقلا عن جريدة فرنسية (Le Petit Journal du 20-11-1902)

وقد ترتب عن استقرار الثائر بالمنطقة الحدودية الخاضعة لضغوط فرنسية وإسبانية، بروز أطماع استعمارية بدعوى حماية قبائلها من آثار الفتن المشتعلة بين القبائل المغربية، وبهذا الصدد احتل الجيش الفرنسي موقع عين بني مطهر القريب من خط الحدود سنة 1904 بدعوى حمايته من أنصار الروكي، مبررا ذلك باستجابته لطلب المساعدة الذي تقدم به قائد الجيوش المخزنية بشرق المغرب إلى الجنرال ليوطي. وسبق للجيش الفرنسي أن استباح قصور واحة فكيك سنة 1903، وفرض على أهلها الاستسلام للأمر الواقع بعد أن استحوذ على عدد من واحاتهم وضمّها إلى التراب الجزائري. وكانت هذه الفتنة التي ابتُلي بها شرق المغرب مقدمة لاحتلال أطرافه من جانب الجيوش الفرنسية من جهة الشرق والجيوش الإسبانية من جهة الغرب، خاصة بعد أن منح الثائر امتيازات لشركات أسبانية وفرنسية، وبالرغم من افتضاح أمره، فقد ظل مصدر توتر وتشرذم بين قبائل قلعية بشرق الريف إلى أن طردته من سلوان سنة 1908 بعد أن تبيّن لها خداعه ومكره.

الغزو الاستعماري في مطلع القرن العشرين

ظل المخزن منذ حرب إيسلي يرفض إقامة علاقة تجارية برّية مع الجزائر المحتلة، وذلك خوفاً من أن تكون المبادلات التجارية وسيلة لاستمالة قبائل الحدود ومَطيّة لتوسيع الاحتلال الفرنسي نحو شمال شرق المغرب. إلا أن تلك القبائل بحكم العزلة التي كانت تعيشها كانت ميّالة إلى إقامة علاقات تجارية مع غرب الجزائر من جهة ومع مليلية من جهة ثانية، نظرا للتسهيلات والامتيازات الممنوحة لها من طرف السلطات الفرنسية والإسبانية، كما أن مشاكل الحدود المزمنة خلقت للمخزن متاعب كثيرة، فوافق على عقد اتفاق بباريس (20 يوليو 1901) على خلفية التوتر الناجم عن احتلال واحات توات، ثم تلته اتفاقيتان وُقعتا بالجزائر في 20 أبريل و7 مايو 1902، كان الغرض منهما وضع إطار قانوني لتنظيم المبادلات التجارية البرية. وكان المؤمّل أن يزدهر الرواج التجاري بشمال شرق المغرب طبقا للضوابط المسطرة في الاتفاقيات المذكورة، إلا أن ثورة الروكي وما نجم عنها من مشاكل عرقل كل تنمية تجارية على أرض الواقع.

أما من جهة الغرب فقد سبق للمخزن أن أمضى اتفاقا مع حكومة مدريد لإقامة ديوانة مغربية داخل مدينة مليلية، حيث تقوم باستخلاص الرسوم على السلع الأوربية الموجهة إلى شرق المغرب، وبذلك ضمِن مداخيل مالية منتظمة بالرغم من نشاط التهريب. وكان يأمل أن تفعيل تلك الاتفاقيات قد يكبح طموح التوسع الاستعماري نحو الأطراف الشرقية للبلاد، وفي ذلك حماية لسيادة التراب الوطني. لكن في هذا الوقت بالذات وقع تفاهم بين بريطانيا العظمى وفرنسا بشأن مصير المغرب (اتفاق 4 أبريل 1904)، حيث رفعت بريطانيا يدها عن المغرب شرط أن تنال إسبانيا نصيبها في المغرب وتصبح شريكا لفرنسا بخصوص اقتسام مناطق النفوذ، وفي هذا الإطار وقع اتفاق بين الدولتيْن بشأن رسم الحدود بين منطقتي نفوذهما، فكان مجرى واد ملوية الأسفل هو الحد الفاصل بين الجانبين، وبذلك وقع تقسيم شمال شرق المغرب بين منطقة نفوذ إسباني ومنطقة نفوذ فرنسي.

فتح التفاهم بين فرنسا وإسبانيا باب الغزو، خاصة بعد عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، فوقع اكتساح قسم كبير من شمال شرق المغرب، وانتهى باحتلال مدينة وجدة يوم 29 مارس 1907 تحت ذريعة تلبية مطالب فرنسية تخص قتل طبيب بمراكش، وادعت فرنسا أن الاحتلال مؤقت ورهين بتلبية تلك المطالب، وصادف الحال أن ثار عبد الحفيظ ضد أخيه عبد العزيز، مما أضعف الحكومة المغربية وشجّع على توسيع رقعة الاحتلال، فتصدّت قبائل بني يزناسن للجيوش الغازية بزعامة الشيخ المختار البوتشيشي، غير أنها استسلمت للأمر الواقع أمام التفوق العسكري الفرنسي. وبذلك خضع الجزء الواقع شرق واد ملوية إلى الاحتلال الفرنسي.

أما غرب واد ملوية فصار مسرحا لتوسيع الاحتلال الإسباني انطلاقا من مليلية، وقد استغلت حكومة مدريد استقرار الثائر الروكي بوحمارة بسلوان، حيث منحها تسهيلات لاستغلال معدن الحديد وامتيازا لبناء خط للسكة الحديدية، مما كشف لقبائل قلعية حقيقة الثائر، فطردوه من شرق الريف في نهاية سنة 1908، وتصدّوا

للجيوش الإسبانية الغازية بزعامة الشريف مَحمد أمزيان، الذي نجح في توحيد قبائل شرق الريف، وخاض معارك ناجحة ضد الجيش الإسباني، الذي تراجع إلى حدود أسوار مليلية، غير أن استشهاد أمزيان يوم 15 مايو 1912، فتح المجال أمام الغزو العسكري الإسباني.

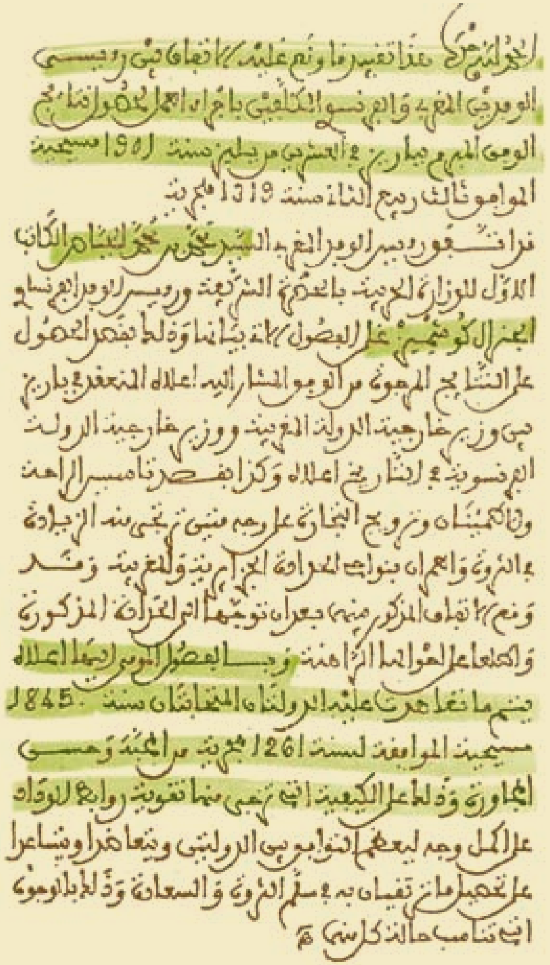

المصدر : ديباجة اتفاق الجزائر الموقع يوم 20 أبريل 1902

www.beniznassen.com

الجهة الشرقية في ظل الحماية الفرنسية والإسبانية

بعد سنة 1912 صار شمال شرق المغرب موزعا بين منطقة تابعة للحماية الفرنسية ضمن المنطقة السلطانية ومنطقة تابعة للحماية الإسبانية ضمن المنطقة الخليفية، التي كان مركزها بمدينة تطوان، وبذلك حاول الاستعمار أن يحدث قطيعة بين سكان الجهة الشرقية، يفصل بينهما واد ملوية. فصارت مدينة وجدة هي مركز سلطات الاحتلال الفرنسية بالجهة الشرقية، بينما صارت مدينة الناضور المستحدثة هي مركز السلطات الاستعمارية الإسبانية بشرق الريف. وقد انعكس ذلك على السكان، حيث صارت اللغة الإسبانية هي لغة الإدارة، فانتشرت بين المواطنين، بينما صارت اللغة الفرنسية هي المسيطرة في ناحية وجدة، وبالرغم من هذا التمييز اللغوي الدخيل فإن عوامل كثيرة ظلت تربط بين الجانبين، وفي مقدمتها الهوية الوطنية واللغة العربية إلى جانب اللهجات المحلية. فكان ذلك باعثا على الوعي الوطني الذي تقوّى بفعل الأحداث التي عرفها المغرب عامة في الثلاثينيات من القرن العشرين، وظهور أحزاب وطنية، بالرغم من أن سكان ناحية الناضور كانوا أكثر تأثرا بأحزاب وطنية نشأت في تطوان عاصمة المنطقة الخليفية، بينما كان سكان ناحية وجدة مؤطرين بأحزاب نشأت في المنطقة السلطانية، لكن بعد الحرب العالمية الثانية وقع تنسيق بين الأحزاب الوطنية في كلا المنطقتين من أجل التخلص من الاستعمار.

وقد تفاعلت الجهة الشرقية مع أحداث المشرق العربي، حيث تم تنظيم مظاهرة حاشدة سنة 1948 إبّان الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، حيث كانت وجدة مَعْبرًا لليهود المغاربة الذين كانوا يُستقطبون لتعمير فلسطين، ونشطت بها الحركة الصهيونية التي كانت تنظم عمليات الهجرة، مما أثار ردود أفعال غاضبة بلغت حد الهجوم على الجالية اليهودية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية، خاصة في مدينة جرادة يوم 14 مايو 1948 ثم في مدينة وجدة يوم 7 يونيو من نفس السنة.

كما نظمت في مدينة وجدة أول مظاهرة تندد بالمؤامرة التي كانت ترمي إلى خلع السلطان محمد بن يوسف واستبداله بالمسمى محمد بن عرفة. حيث انطلقت الاحتجاجات يوم 16 غشت 1953 منددة بتلك المؤامرة، وترتب عنها عدد من القتلى من بين المواطنين ومن بين الفرنسيين، وتعرّض أعضاء الحركة الوطنية بالمدينة إلى حملة قمع شرسة.

غير أن البعض منهم استطاع أن يجد ملاذا في مدينة الناضور الخاضعة للسلطات الإسبانية، التي كانت تغض الطرف عن نشاطهم بسبب الخلاف القائم آنذاك بين إسبانيا وفرنسا حول السياسة المتبعة في المغرب. خاصة بعد أن أقدمت فرنسا على خلع السلطان محمد بن يوسف دون التنسيق مع حكومة مدريد.

وتبعا لذلك أضحت مدينة الناضور مركزا لنشاط الحركة الوطنية المغاربية، خاصة جبهة التحرير الجزائرية والحركة الوطنية المغربية، إذ بعد إعلان الثورة الجزائرية سنة 1955، لجأ إلى شرق المغرب عدد كبير من الجزائريين المتعاطفين مع جبهة التحرير الجزائرية، ولقوا دعما على المستويين الرسمي والشعبي. فتأسست قواعد عسكرية لجيش جبهة التحرير الجزائري بالجهة الشرقية، فكان المقاومون ينطلقون منها للقيام بعمليات فدائية داخل التراب الجزائري.

وقد أضحى معروفا على نطاق واسع اليوم أن ساحل كبدانة في إقليم الناضور كان مَعْبراً لشحنات الأسلحة الموجهة لجيش التحرير الجزائري. بل اتخذ زعماء جبهة التحرير من مدينة الناضور مقرا لقيادتهم العسكرية. وظل الأمر كذلك إلى أن استقلت الجزائر سنة 1962.

جزر كبدانة إقليم الناظور

www.beniznassen.com

مشكل الحدود وآثاره على الجهة الشرقية

بعد فشل مساعي المغرب لحل مشكل الحدود الموروثة عن الفترة الاستعمارية، انفجرت أزمة خطيرة بين المغرب والجزائر. فوقعت مواجهات عسكرية عنيفة على الشريط الحدودي في شهر أكتوبر 1963، كانت لها آثار سلبية على الجهة الشرقية. وبالرغم من التسوية فقد ظل التوتر سائدا بالشريط الحدودي الذي لم تضبط معالمه بدقة. وبعد تنظيم المسيرة الخضراء سنة 1975 اتخذت السلطات الجزائرية إجراءات انتقامية ضد المغاربة المقيمين في الجزائر بكيفية قانونية، حيث طردت ما يزيد عن أربعين ألف مغربي دون مراعاة الظروف الإنسانية، وكان جل المطرودين من شمال شرق المغرب، فأقيمت لهم مخيمات بمدن وجدة وبركان والناضور. وفي وقتنا الحاضر أسس هؤلاء المطرودون جمعية من أجل مطالبة الجزائر بالتعويض عن الضرر الذي لحقهم.

طرد أربعين ألفاً من المواطنين من الجزائر

« إن من حقنا أن نتساءل هل يتفق هذا التعاون مع طرد الجزائر لأربعين ألف من المواطنين المغاربة، كانوا يتساكنون مع إخوانهم الجزائريين فوق أرض الجزائر منذ مدة، لذنب واحد هو أنهم مغاربة؟ وهذا في الوقت الذي يؤوي فيه المغرب جالية جزائرية وفيرة العدد، ويمكّنها من وسائل العيش فوق أرضه، بل إنه ليعامل الجزائريين معاملة تشخص روح الأخوة الصادقة التي يضمرها نحو شعب الجزائر الشقيق.

وهل يتفق هذا التعاون مع تنظيم العصابات وتجهيزها بالعتاد لمواجهة المغرب في عقر داره والفتك بالأبرياء فوق أرضهم وترابهم؟ إن الجزائر لا تكتفي بذلك، إنها تبعث بفصائل جيشها النظامي لمهاجمة التراب المغربي، الذي لا نزاع فيه حتى من الجزائر نفسها بمقتضى الأوفاق التي يقول الرئيس بومدين إنه متشبث بها».

المصدر : محمد التازي، مذكرات سفير، ج 1 ص 53.

وتجلت آثار التوتر بين المغرب والجزائر بالخصوص في إغلاق الحدود البرية بين البلدين، بالرغم من أن جزءً كبيرا من منتجات الجهة الشرقية (فلاحية ومعدنية) كان يجد طريقه إلى التصدير إلى الخارج عبر ميناءيْ وهران والغزوات بالغرب الجزائري، أو عبر ميناء مليلية المحتلة، فكانت هذه الظروف حاسمة لدفع الحكومة المغربية إلى التفكير في تأسيس ميناء بني انصار بجوار مدينة الناضور، فصار اليوم هذا الميناء نافذة للرواج التجاري وتنقل المهاجرين المغاربة بين بلدهم والدول الأوربية التي تؤويهم.

وبالرغم من تسوية مشكل الحدود سنة 1986 إبان قيام مشروع اتحاد المغرب العربي، حيث كان من المؤمّل أن تلعب الجهة الشرقية دورا أساسيا في هذا البناء المغاربي، وفعلا عرفت الجهة الشرقية ازدهارا تجاريا وسياحيا بمناسبة فتح الحدود بين البلدين، لكن سرعان ما تم إغلاق الحدود عقب أحداث إرهابية وقعت بمراكش سنة 1994، وَوُجّهت أصابع الاتهام فيها إلى الحكومة الجزائرية. فترتب عن التوتر بين المغرب والجزائر وإغلاق الحدود بينهما تنامي ظاهرة التهريب، التي كانت في الأصل مزدهرة بين مليلية والناضور، فعمّت أيضا الشريط الحدودي بين البلدين.

ظاهرة التهريب وأبعادها على الجهة الشرقية

يعتبر التهريب في وقتنا الحاضر أكبر آفة تهدد الاقتصاد الوطني، وبهذا الخصوص ينفرد شمال شرق المغرب بتهريب مصدَرُه غرب الجزائر، إلى جانب تهريب مصدرُه مليلية المحتلة،وبذلك تواجه الجهة الشرقية تهريبا مزدوجا من دولتيْن مختلفتين (الجزائر وإسبانيا)، فالتهريب مع الجزائر تعود جذوره إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي، حيث اتّبع المخزن سياسة المقاطعة التجارية مع السلطات الفرنسية بالجزائر ورفض توقيع أي اتفاق تجاري برّي معها، خوفا من أن تصبح التجارة مطية لاحتلال شرق المغرب، فاستصدرت الحكومة الفرنسية في القرن التاسع عشر عدة مراسيم شجعت من خلالها التجارة مع القبائل المغربية المتاخمة لخط الحدود ضدّا على إرادة المغرب، وكانت هذه القبائل بدورها مضطرة على القيام

www.beniznassen.com

بذلك بحكم عزلتها وبعدها عن المركز لتلبية حاجياتها المعيشية الضرورية التي كثيرا ما يصعب التزود بها عبر مدينتيْ فاس أو طنجة فكانت الماشية وبعض المنتجات الفلاحية أهم ما تنقله تلك القبائل إلى أسواق غرب الجزائر دون الحصول على ترخيص من المخزن ودون دفع رسوم التعشير. كما كان شرق المغرب عامة يُعدّ سوقا للمنتجات الصناعية الفرنسية المستجلبة من غرب الجزائر، وقد ساعد على ازدهار هذه التجارة المحرّمة عجز المخزن عن حراسة شريط حدودي يمتد على مسافة طويلة. كما أن السلطات الفرنسية بالجزائر استحدثت في نهاية القرن التاسع عشر مناطق حرة بالغرب الجزائري لتسهيل عمليات التهريب نحو المغرب وترويج السلع الفرنسية بأسعار تنافس السلع المهربة عن طريق مليلية.

أما جذور التهريب بين مليلية والمناطق المجاورة لها فهي ضاربة في القدم، فكان المخزن يغض الطرف عن ذلك النشاط، حيث لم يكن له تأثير كبير على اقتصاد البلاد، ولكن منذ أن أصبحت مليلية منطقة حرة في منتصف القرن التاسع عشر، تقوّى التهريب بينها وبين النواحي المغربية المجاورة، وقد حاول المخزن تدارك الموقف بأن أحدث ديوانة داخل مليلية بعد أن تفاوض بشأنها مع حكومة مدريد، إلا أن الثورات والفتن التي عرفها شرق المغرب في مطلع القرن العشرين أبطل عمل ذلك المركز الجمركي.

وأثناء خضوع المغرب للحماية ظل نشاط التهريب قائما بين شرق الريف التابع للحماية الإسبانية وناحية وجدة التابعة للحماية الفرنسية.

تهريب المحروقات

أما بعد استقلال المغرب وتوحيد المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفية، فإن التهريب ظل نشيطا بين مليلية ومدينة الناضور، بحكم بقاء مليلية تحت السيطرة الإسبانية، بينما جف نشاط التهريب مع غرب الجزائر بحكم الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر إبّان استقلالها، وما دامت الحدود البرية معها مفتوحة لم يلاحظ نشاط تهريبي هام. لكن بعد إغلاق الحدود سنة 1975، ونموّ اقتصاد الجزائر بفعل ارتفاع سعر البترول، تقوّى الدعم الحكومي للمواد الأساسية وخُفّضت الرسوم الجمركية على السلع المستوردة، فكان ذلك باعثا على نشاط التهريب مع غرب الجزائر. وقد أضحت اليوم أسواق مدينة وجدة ومدينة بني درار ومدينة أحفير من أكبر مراكز ترويج السلع المهربة من الجزائر، وعلى رأسها المحروقات والمواد الاستهلاكية وبعض السلع المصنعة في دول آسيا.

ومعروف لدى العموم أن الجهة الشرقية أضحت سوقا للمهربين انطلاقا من مليلية ومن غرب الجزائر، ومن الثابت أن هذا الوضع يلحق ضررا كبيرا بالاقتصاد الوطني، غير أنه من الصعب القضاء عليه لاعتبارات اجتماعية، أهمها انتشار البطالة وواقع العزلة بحكم إغلاق الحدود، مما قد ينعكس سلبا على الوضع بالجهة الشرقية بصفة عامة.

ظاهرة الهجرة متأصلة بالجهة الشرقية

إبّان احتلال الجزائر سنة 1830 كان اتجاه الهجرة من بلاد الجزائر نحو بلاد المغرب عامة، حيث استقبل شرق المغرب أكبر عدد من المهاجرين الجزائريين الذين لم يقبلوا العيش تحت سلطة غير إسلامية بحكم الجوار والروابط القوية التي تجمع بين ساكنة غرب الجزائر وساكنة الجهة الشرقية. فاستقر أكثرهم في مدينة وجدة والقليل منهم تشتتوا بين قبائل شمال شرق المغرب. ولقوا ترحابا وسندا على المستويْن الشعبي والرسمي.

أما هجرة المغاربة إلى الجزائر فقد جاءت في سياق مختلف، وكان أكثرهم من الجهة الشرقية بحكم القرب، حيث كان غرب الجزائر في حاجة إلى اليد العاملة، بينما كانت ساكنة شرق المغرب لا تجد ما يكفي لسد حاجياتها الضرورية بسبب الجفاف والقحط والمجاعة، فاستهوتها إغراءات فرص العمل بالجزائر المحتلة، وبذلك كانت الجهة

www.beniznassen.com

الشرقية أكبر مُصدّر لليد العاملة خاصة إلى غرب الجزائر، غير أن جل المهاجرين كانوا ينطلقون من الريف، نظرا للظروف الطبيعية القاسية وقلة الأراضي الصالحة للزراعة.

وقد غلب على هذه الهجرة الطابع الموسمي، وبعد إخضاع المغرب لنظام الحماية سنة 1912 لم تتوقف الهجرة إلى الجزائر، بل زادت اتساعا بعد حرب الريف، حيث ارتفعت وتيرة الهجرة وتحولت في بعض الأحيان إلى هجرة دائمة.

أما ظاهرة الهجرة إلى أوربا الغربية فتعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كانت الوجهة الوحيدة آنذاك هي فرنسا، نظرا للروابط الاستعمارية التي كانت تجمعها بالمغرب، ويلاحظ أن حظ الجهة الشرقية من هذه الهجرة كان قليلا بالمقارنة مع جهات أخرى من المغرب مثل ناحية سوس خاصة قبل استقلال البلاد، غير أن مَوْجة الهجرة إلى فرنسا وألمانيا وهولندة وبلجيكا عرفت طفرة كبيرة في سنوات الستينيات، بالرغم من العراقيل التي كانت تضعها الحكومة المغربية في وجه الراغبين في الهجرة، خاصة ما يتعلق بمنح جوازات السفر. وتعتبر الجهة الشرقية في وقتنا الحاضر من أكبر المناطق المصدرة لليد العاملة إلى بلدان أوربا الغربية، وينعكس ذلك في زيادة العائدات من العملة الصعبة، مما قد يساهم في التنمية الجهوية بشكل خاص.

الموروث الثقافي المشترك بين شرق المغرب وغرب الجزائر

ترتب عن الهجرة المتبادلة تلاقح ثقافي بين شرق المغرب وغرب الجزائر، وينعكس ذلك على مستوى اللباس والمطبخ واللهجة العامية، ويبرز هذا التأثير المتبادل في الرقص الشعبي بشكل واضح، حيث نصادف الرقص المشهور باسم العلاوي أو اسْبايسي والعرايشي منتشرا في شرق المغرب وغرب الجزائر، ونلاحظ أن هذا الرقص الشعبي أخذ في الآونة الأخيرة يُعرف بأسماء محلية من قبيل رقصة الركادة أو المنكوشي أو انهاري... كما أن آلات الموسيقى مثل الزامر والقصبة والكلال تعكس الموروث الثقافي المشترك بين مختلف مناطق الجهة الشرقية وغرب الجزائر. وبذلك تجمع الجهة الشرقية عدة ألوان من التراث الشعبي، وهي ألوان انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق التواتر الشفهي.

الرقص الشعبي بالجهة الشرقية
في منتصف القرن الماضي

أما عمالة الناضور فقد جمع تراثها الفني بين الموروث الأمازيغي الأصيل وبين المؤثرات الفنية الشعبية السائدة بغرب الجزائر، حيث تعدّ هي المنطقة الوحيدة في الجهة الشرقية التي يُمارَس فيها الفن الغنائي باللغة الأمازيغية إلى جانب العربية، ومردّ ذلك إلى تأثير التراث الثقافي لمنطقة الريف. وقد انتقل التراث الشعبي السائد بغرب الجزائر إلى ناحية الناضور جرّاء الهجرة التي كانت قوية في نهاية القرن التاسع عشر وأثناء فترة الحماية، فانعكس ذلك في الآلات الموسيقية المستعملة وفي بعض أنماط الغناء والرقص، حيث انصهرت كل المؤثرات وانبثق منها موروث ثقافي فني، تلوّن بألوان محلية وصار في وقتنا الحاضر هو النمط الذي يميز ناحية الناضور عن غيرها من مناطق الجهة الشرقية.

وقد انفردت الجهة الشرقية، وخاصة مدينة وجدة بنمط من الفن الأصيل يعرف بالطرب الغرناطي، وهو نمط من الفنون الموسيقية التي تستمد جذورها من الأندلس وتجمعها بالموسيقى الأندلسية خصوصيات كثيرة، وتعود أصول هذا الفن الموسيقي إلى مدينة غرناطة (جنوب اسبانيا) أيام ازدهار الحضارة العربية بالأندلس، وقد انتقل هذا النمط الموسيقي إلى غرب الجزائر وشرق المغرب مع المهاجرين من الأندلس في القرنيْن الخامس عشر والسادس عشر، حيث استقر عدد منهم بمدينة تلمسان الجزائرية، ومنها انتقل تأثير هذا النمط الموسيقي إلى مدينة وجدة، وتقوّى مع هجرة الجزائريين إلى شرق المغرب خاصة في القرن التاسع عشر، وقد اختص أعالي القوم بالاستمتاع به، وفي وقتنا الحاضر يعتبر الطرب الغرناطي جزءا من التراث الموسيقي المغاربي، حيث حظي باهتمام كبير وعرف انتشارا واسعا في المدن الجزائرية ومنها على وجه الخصوص تلمسان، كما عرف إقبالا كبيرا بمدينة وجدة عاصمة الجهة الشرقية، ويتميز الطرب الغرناطي بعزف موسيقي يشارك فيه الرجال والنساء على حد سواء.

www.beniznassen.com

الجهة الشرقية

التراث المادي

التراث المادي

أكدت الأبحاث الأركيولوجية التي جرت في الفترة الاستعمارية أو الأبحاث التي تم إنجازها مؤخرا أن هذه المنطقة تعتبر عن حق، منطقة الإنسان القديم دون منازع، فبقاياه الأثرية غطت شمال المنطقة بجبال بني يزناسن ووسطها في الهضاب العليا وجنوبها وبمنطقة فكَيك. حيث ما تزال المناطق المحيطة بالواحة تحمل كثيرا من رسوم الإنسان القديم في شكل حيوانات مفترسة، وهو ما يدل على خصوبة المنطقة في فترات ما قبل التاريخ. وتتوزع هذه الرسوم على الطريق الرابطة بين فكَيك وبني ونّيف شرق أم السفر، والتي يعود تاريخها إلى العهد النيوليتي، ويعتبر حوض الزوزفانة من المناطق التي استقر فيها الإنسان منذ أزمنة غابرة، ومارس فيه الزراعة وهو ما يبدو من آثار متبقية لقبور وبنايات ونقوش بجبل المعيز وكروز والملياس وجبل بني سمير وجبل تانزارة وحيتما ولعريعرة وغير ذلك من التجمعات السكنية في سافلة واد الزوزفانة كطاسرا وتاغلا وامغرور واولاد رفيعة والزوبية ومزوغة وسيدي يوسف أو في عاليته كالصفيصيفة وكَرمان وتقلقولت والعرجا وتاغروط.

الآثار ما قبل الإسلامية

ترك الإنسان المغربي القديم بعض ما يدل عليه داخل مغاور ومواقع متعددة، وما تزال كثير من آثار هذه الفترة ماثلة للعيان في المناطق المحيطة بوجدة، والناظور ودبدو وقريبا من جبال بني يزناسن. ومن بين أهم المواقع بالجهة نجد :

❑ موقع سيدي ادريس

يوجد هذا الموقع بجماعة تمسمان غرب الناضور على مصب واد اغزار امقران، وقد أجريت به حفريات سنة 2003، وأسفرت عن مجموعة متنوعة من الآثار، بعضها حديث يعود إلى الحقبة الاستعمارية الإسبانية، وتشتمل على بقايا خراطيش الرصاص والزجاج وبعض الهياكل العظمية البشرية، وبعضها الآخر يعود إلى القرنين 3 و4 قبل

بعض الرسومات بجبال بني يزناسن

بعض الأصداف التي عثر عليها

www.beniznassen.com

الميلاد، ويشتمل على قطع من الخزف، والبعض الآخر يعود إلى العهد الفينيقي، ويشتمل على بعض الخزفيات التي ترجع إلى القرن الخامس والسادس قبل الميلاد. كما عثر على بعض قطع الخزف الإغريقية.

❑ مغارة الحمام

تعتبر مغارة الحمام بغابة تافوغالت من أهم المواقع الأثرية لما احتوته من مخلفات غنية على المستوى الأركيولوجي والثقافي أيضا، وهي تتبع لإقليم بركان، وقد أصبحت لها مكانة عالمية بسبب الإكتشافات التي جرت بها منذ سنة 2003 على يد فريق من الباحثين المغاربة والأجانب. حيث عثر على مجموعة من الحلي اعتبرت في حينها أقدم ما عرف عن صناعة الحلي، ونشرت نتائج الاكتشاف الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة سنة 2007، وقد ظهرت اكتشافات أخرى في السنوات الأخيرة بكل من الجزائر وجنوب إفريقيا وفلسطين، إلا أن الاكتشافات الجديدة التي تمت في سنة 2008، في مستويات أركيولوجية يتراوح عمرها بين 84 ألف سنة و85 ألف سنة، أظهرت حوالي عشرين من الصدفيات البحرية التي استعملها الإنسان القديم كحلي، مما يجعل المغرب أول مركز لصناعتها واستعمالها. كما عثر في مستويات أخرى على مقبرة خاصة بالأطفال تعود إلى 12 ألف سنة قبل الميلاد، وهياكل عظمية محاطة بقرون بعض الحيوانات وبعض الأدوات الحجرية.

❑ مليلية

هي في الأصل موقع قديم كان يحمل إسم روساديرالتي تعني بلغة الفينيقيين الرأس المهيب، وقد عثر فيها على آثار تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد بمقبرة سان لورينثو. وتوجد المدينة منذ سنة 1497 تحت الاستعمار الإسباني. وتوجد جنوب المدينة خرائب مدينة كبيرة ورد اسمها في المصادر الإسلامية على أنها مدينة قديمة هي مدينة (تافس) (غافس) لم تعرف حتى الآن أية حفريات أثرية، وفي نفس المنطقة غير بعيد عن جبل الوازن توجد آثار يطلق عليها الأهالي « لبني» وهي آثار قديمة قد تعود إلى الفترة الرومانية.

الآثار الإسلامية :

عرفت المنطقة في الفترة الإسلامية ازدهارا عمرانيا كبيرا، وتعود بعض الآثار إلى فترة الفتوحات، ومنها جامع عقبة بمدينة وجدة، الذي يُنسب بناؤه إلى عقبة بن نافع حسب رواية شائعة، إلا أن أقدم أثر إسلامي بالمنطقة هو بقايا مدينة جراوة الادريسية القريبة من عين جراوة (عين فزوان حاليا).

❑ وجدة المدينة الألفية

ينسب تأسيسها إلى زيري بن عطية، إلا أنها تعرضت بحكم موقعها لمد وجزر، مما أثر على عمارتها بسبب الأحداث التي عاشتها المنطقة، ولذلك ضاعت الكثير من معالمها المعمارية، وحلت محلها أخرى كما هو الشأن بالنسبة للأسوار والتحصينات. وتحتفظ المدينة مع ذلك بالعديد من المآثر العمرانية، من ساحات وقباب وممرات وصوامع أثرية ومساجد وأبواب وغيرها. وقد أحصت الأستاذة دادي مارية في كتابها عن تاريخ المدينة، عددا لا يحصى من مآثر المدينة، فاستعرضت ما يزيد على ثلاثين ضريحا للأولياء والصلحاء، وعلى رأسهم سيدي يحي بن يونس، وإثنى عشر مسجدا عتيقا منها : الجامع الأعظم، وجامع عقبة وجامع حدادة وغيرها، والحمام المريني العتيق، وقصبة المدينة التي توالت عليها أعمال الترميم والصيانة منذ عهد الزيريين، إلى الحقبة المعاصرة، والأسوار

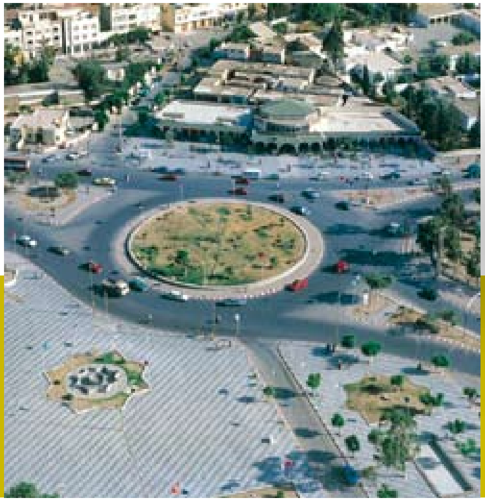

منظر عام لمدينة وجدة

بأبوابها الضخمة مثل باب سيدي عبد الوهاب وباب الخميس والباب الغربي المؤدي إلى القصبة وأقواسها.

وغير بعيد عن وجدة جنوبا ما تزال بعض بقايا أسوار تلوح على مرتفع «تامزيز دكت»، إذ احتفظت ببعض ما طبع فترة المرينيين من صراع مع بني عبد الواد. وتنتصب غرب وجدة مدينة تاوريرت التاريخية، التي تتميز بخصوصية طبيعية واجتماعية فريدة، والى الجنوب منها تطل قصبة مدينة دبدو الأثرية، التي كانت تشكل إمارة في وقت غير معروف بدقة «وتغلب على مآثرها العناصر اليهودية، سواء تعلق الأمر فيها بالمعابد أو الأبنية الاجتماعية، وهو ما نجده أيضا بجبال بني يزناسن ممثلة في ما عرف في التاريخ بدار بن مشعل اليهودي (خربة ليهودي).

صومعة الحجر بفكيك

جانب من سور قصبة السعيدية قبل ترميمها

الباب الغربي

باب سيدي عبد الوهاب

❑ موقع غساسة

لم يبق من هذا الموقع الآن سوى سور متلاش، يبلغ طوله حوالي 200 متر وعرضه من 60 إلى 140 مترا. تناولت المصادر الوسيطية هذه المدينة، فتحدث الإدريسي عن مرسى كرط الذي يرجّح أن يكون هو موقع غساسة، وفي القرن الرابع عشر ذكرها ابن خلدون والعمري، ويفهم من وصفهما لها أنها كانت مدينة هامة في مستوى المدن الشمالية الأخرى مثل سبتة وتازة. وقد تمكن الإسبان من احتلالها سنة 1506، ثم استرجعها المغاربة منهم، إلا أنها تخربت بسبب قربها من مليلية، ومخافة وقوعها في يد الإسبان. كان هذا الموقع محل أبحاث أركيولوجية في الأربعينيات من قبل المؤرخ الإسباني فرنانديث دي كاسترو، الذي نشر كتابا حول تاريخه.

❑ قلعة تازوضا

تعني كلمة تازوضا بالأمازيغية القصعة، وهو وصف قريب للقلعة، فهي تحتل موقعا حصينا، على أعلى جبل كوروكو، الموجود بالريف في إقليم الناضور على ارتفاع يتجاوز 600 متر، وتوجد على الحافة الشمالية لفوهة بركان قديم. وعرفت منذ القديم بحصانتها الطبيعية التي استمدتها من صعوبة الوصول إليها من الحافات المرتفعة المحيطة بها من كل الجهات، عدا المسلك الوحيد الموجود في جهة الشرق، مما يسهل الدفاع عنها. ونظرا لموقعها القريب من مليلية، ولحصانتها، فقد سعت كل القوى التي مرت من المنطقة إلى السيطرة عليها، ومنها

قلعة تازوضا

www.beniznassen.com

الفاطميون والأندلسيون والمرابطون ثم المرينيون، مما يفسر اعتناء بعض هذه الدول بأسوارها الخارجية.

ومن المعلوم أن الجهة الشرقية ساهمت مساهمة كبيرة في تأسيس الدولة العلوية، حيث استند مولاي رشيد على عصبية قبائل شمال شرق المغرب وعلى الأموال الطائلة التي استخلصها من اليهودي ابن مشعل بعد أن قضى عليه وخلص تلك القبائل من تسلطه، فنجح في التغلب على أخيه مولاي مَحمد، وكوّن جيشا من القبائل الشرقية زحف به نحو فاس قاعدة المُلك، وخلّفت هذه الوقائع آثارا كثيرة ما تزال قائمة تشهد على خصب التاريخ والذاكرة، وتتمثل في القصبات التالية : قلعة ركادة، قصبة لعيون، قصبة شراعة، قصبة تاوريرت وقصبة مسون وهي كلها قصبات ذات أهداف عسكرية ،كما بنى المولى اسماعيل أيضا قصبة سلوان وقصبة فرخانة، وسار على نهجه الحسن الأول الذي شيد قصبة السعيدية، وتحتضن المنطقة ضريح السلطان المولى مَحمد الذي دشن حركة العلويين ومات قتيلا في إحدى المعارك التي خاضها ضد أخيه المولى رشيد ،ودفن وسط سهل أنكاد غرب مدينة وجدة.

❑ قصبة فرخانة

وهي بناء حديث يرجعه البعض إلى عهد مولاي إسماعيل، حوالي سنة 1769، بينما يرجح البعض الآخر أن يكون قد بني في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان خلال القرن التاسع عشر، في ارتباط مع سعي المخزن إلى مراقبة الحدود مع مليلية وضبطها.

❑ قصبة سلوان

وهي أيضا حديثة العهد، يرجع تاريخ بنائها إلى سنة 1679، على يد السلطان مولاي إسماعيل الذي شيدها بهدف مراقبة قبائل بني يزناسن. وهي من أهم المعالم التاريخية بإقليم الناضور. لعبت في البداية دورا مع باقي القصبات في الإقليم للوقوف في

وجه التسرب والغزو الأجنبي، ثم عرفت ترميما وإصلاحا في عهد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1771، وأعيد ترميمها سنة 1859 في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان، وتم تعزيزها بالرجال خلال عهد الحسن الأول، وخصوصا في عهد مولاي عبد العزيز. وقد لجأ إليها الثائر الروكَي المعروف ببو حمارة، سنة 1905 واستقر بها، ولم يغادرها إلا بعد حرقها سنة 1908. وتوجد حاليا أسوارها في حالة متدهورة، وجدرانها مهددة بالتآكل والتلاشي.

❑ قصبة الركَادة

تأسست هذه القصبة في عهد السلطان العلوي مولاي إسماعيل، وكان هذا السلطان قد وطن قبل ذلك بعض عرب زرارة والشبانات في المنطقة سنة 1090هـ/ 1679م، إلا أنهم أسرفوا في العيث والنهب والتضييق على بني يزناسن، والإغارة على حرثهم ببسيط أنجاد، فتدارك الأمر بأن شيد ثلاث قلاع واحدة بركادة والثانية بالعيون والثالثة على ملوية، مشكلا بذلك حزاما أمنيا لحماية سهول المنطقة الشرقية المحيطة بوجدة، ومركز أمن لتمكين قبائل بني منقوش الشمالية من ممارسة نشاطاتها الفلاحية بسهول تريفة.

وقد شيدت القصبة على أرض مرتفعة شرق عين الركادة بحوالي خمسين مترا، وبعيدة عن فيضاناتها، وكانت مربعة الشكل ويتراوح كل ضلع بين خمسين مترا وستين مترا. وكان لها حسب الروايات الشفوية باب وحيد من جهة الجنوب، إلا أن جل معالمها قد اندثرت في وقتنا هذا.

www.beniznassen.com

الجهة الشرقية

التراث اللامادي

www.beniznassen.com

التراث اللامادي

الفنون

• الرقص : أعطى التنوع الطبيعي والبشري للجهة الشرقية تلاقحا ثقافيا، نادرا ما نصادف نظيرا له في باقي جهات المغرب الأخرى، ويأتي الرقص في مقدمة الفنون التي تستأثر بالاهتمام، إذ على الرغم من تشابه أنواعه، إلا أن لكل قبيلة رقصتها التي اختصت بها وحافظت على خصوصياتها المحلية التي تميزها عن غيرها، وغالبا ما يقع التميّز على مستوى الإيقاع. وتنسب مثلا رقصة النهاري إلى قبيلة أولاد نهار الموجودة بالحدود المغربية الجزائرية في نواحي أحفير، ورقصة المنكوشي لبني منكوش شرق تافوغالت، وتنسب رقصة الركادة إلى البلدة القريبة من بركان (قرب حامة فزوان). وتتسم الرقصات بالرجولية، حيث يوظف اللعب بالأكتاف والأرجل وكذلك بالبندقية أو السيف أو العصا، بينما يوظف الصدر والخصر في الرقص النسائي، والثابت في هذه الرقصات هو الحساب لأنه موجود في جميع الرقصات حسب أعداد الخطوات أوالدقات التي تشكل الرقصة، ويعبر عنه بمصطلحات خاصة مثل : (السبايسية والعرايشية والخوية... الخ)، أما الآلات الموسيقية المستعملة فتعتمد البندير إضافة على «الزامر» والغيطة والقصبة.

فرقة رقص من المغرب الشرقي

وتشتهر الجهة الشرقية بعدد من الرقصات، ومن بينها :

• رقصة الركادة : ويعود اسمها إلى عين الركَادة الآنفة الذكر، وتتميز بأربعة تقاطيع خاصة بها وهي : المسرّح والبونت والسبايسية والعرايشية، تختلف حسب استعمال البندير وعدد الدقات المطلوبة للرقص، والتي تتصاعد من البونت إلى العرايشية. وتكون رقصة الركادة مصحوبة بتحريك الكتفين والرجلين معا في تناسق تام.

• رقصة العلاوي : اشتق اسمها من قبيلة بني يعلا وهي إحدى القبائل القاطنة جنوب وجدة، وتمتد أراضيها على السلسلة الجبلية التي تحمل اسمها لتنتهي عند واد الحيّ جنوبا، وتحد شمالا بجبال الزكارة. وتقوم رقصة العلاوي بشكل أساسي على تحريك الكتفين. تستعمل في هذه الرقصة بعض المصطلحات الخاصة بها، مثل الخاوي، وهو مدخل من النقرات على البندير، والفراق وهو الضرب على الأرض بالقدمين للفصل بين إيقاعي السبايسية والعرايشية، وتستعمل في الرقص البندقية، ويمكن أن ينتظم الراقصون في صف مرصوص يشد بعضهم البعض من مرافقهم، ومن الإيقاعات الهامة في العلاوي الشيبانية، وهي عبارة عن ثمانين دقة موزعة على إيقاعات متعددة، وتختم باللغطة وهي صيحة يعبر بها الراقص عن انتصاره وتفوقه. ومن مصطلحات الإيقاع الأخرى نجد المنكوشي والحساب والصقلا والخميسا.

• رقصة النهاري : وهي رقصة يعود اسمها إلى قبيلة أولاد نهار الجزائرية، وتتميز بإيقاعها البطئ، وهي عبارة عن دقات مفخمة رتيبة تليها دقات خفيفة، فالدقات المفخمة تؤدي

رقصة النهاري

www.beniznaasen.com

إيقاع هز الكتفين، ويليها البونت ثم السبايسية والعرايشية، أما الدقات الخفيفة فتؤدي إيقاع الجرّات : أي الرقصة التي لا يستعمل فيها الراقص غير خصره وكتفه حتى يبدو وكأنه يجر جسده. وتضم الجرّة الواحدة سبع دقات خفيفة وسريعة. ويسمى البونت في هذه الرقصة أيضا بالصقلة ومعناها الصفعة، لأن الراقص يضرب برجله على الأرض كأنه يصفعها. ويخضع تقسيم هذه الرقصة لنفس تقسيم رقصة العلاوي.

وتتلوّن الرقصات بتلوينات محلية، فنجد المنكوشي والركادة والحاجية وهراست الحجر حسب المناطق. وتتم هذه الرقصات في المواسم والأفراح، وقد استمرت تعابير هذا الموروث الشعبي في منطقة وجدة إلى وقت متأخر، ويتم إحياؤها بشكل أساسي أثناء الاحتفال ببعض المواسم والمناسبات الاجتماعية كالأعراس والعقيقة وإعذار الأطفال.

- الشيوخ : تتكون من أنواع كثيرة من الفرق الحضرية والبدوية، بعضها يعزف بالناي أو «الكمية» والبعض الآخر يعزف بالغيطة، وينقسم أفرادها إلى مجموعتين حسب آلات العزف، واحدة بالكمية والأخرى بالبندير أو بآلة محلية شبيهة ب «الدربوكة» تسمى «الكلال».

- البّارديا : يتعلق الأمر بفرق خاصة، تنشط في المواسم والمناسبات، ويطلق عليهم أصحاب «الوعدة»، وهي فرق فولكلورية محلية، تستمد حركاتها وإيقاعاتها ورقصاتها من تقاليد الفروسية، وتتضمن رقصاتها حركات مستوحاة من التبوريدة، ويحمل الراقصون بنادق «بوحبّة» خلال مدة الرقص ،التي قد تستمر إلى حوالي الساعتين، وينتظم الراقصون في صفين متوازيين، ويؤدون رقصاتهم بانضباط كبير، ويلبسون أزياء قريبة من تلك المعروفة في رقصة «العرفة».

- مجموعة العَرْفة : العَرْفة مجموعة رقص سائدة في الجهة الشرقية، بحيث نجدها حاضرة في كل المناسبات الوطنية والدينية والموسمية والاجتماعية، الخاصة بالوعدة. وتتركز هذه المجموعة في بني يزناسن وخاصة بأحفير وبركان. ويتحد أفراد المجموعة في أزيائهم وحركاتهم وتحركاتهم ورقصاتهم، ويرتدون عباءات بيضاء فضفاضة وعمامات على رؤوسهم وخيطا أحمر مجدولا. وتستعمل

آلة الزامر

آلات موسيقية مثل الزامر، وهي آلة موسيقية يلعب بها رئيس الفرقة، مكونة من نابين مصنوعين من قرون الماعز أحيانا.

ينتظم الراقصون داخل دائرة مفتوحة، والرقصة على العموم خفيفة، وينضبط الجميع لأوامر وتسيير رئيس الفرقة، وتعتمد الرقصة على الأرجل في حركات خفيفة سريعة، مع اهتزازات الكتفين والصدر. ولا تقتصر العرفة على الرقص وإنما تكون مصحوبة كذلك بالأغاني.

آلة الليرة

تتميز الجهة ببعض ألوانها الموسيقية المتميزة، ومنها فن الطرب الغرناطي الأندلسي الذي تمت الإشارة إليه، وموسيقى وفن الرّاي الذي اشتهرت به الجهة، وبرز فيه بعض مطربيها مثل الشاب ميمون، ولا ننسى إسهامات بعض فناني الجهة وخاصة الإخوة بوشناق والإخوة ميكري، على سبيل المثال لا الحصر.

جوق الطرب الغرناطي بوجدة

www.beniznassen.com

بعض العادات

• الأعراس : تشكل الأعراس مناسبة للتعرف على عادات الجهة الشرقية، التي لا تختلف في جوهرها عن العادات المتبعة في جل جهات المغرب، ولكنها تتنوع في طقوسها حسب المناطق، مدنا كانت أم بوادي، وحسب درجة التمسك أو التحرر من التقاليد، حيث وقع التخلي عن الكثير من العادات القديمة في المدن الكبرى مثل الناضور ووجدة، وظلت بعض المدن مثل فكيك تحافظ على قدر كبير من تقاليدها المكتسبة عبر قرون.

يتم الزفاف على مراحل، أولها الخطبة التي تتم بعد رؤية العروس أو استشارة نساء العائلة، وعادة ما يختار الأب في البادية عروس ابنه، بناء على توصية من الأم، وغالبا ما تكون من القبيلة أو العائلة. وقبل التوجه للخطبة يتم إشعار أهل العروسة لمعرفة رأيها. وفي لقاء العائلتين تتم الخطبة والاتفاق على كل التفاصيل المتعلقة بالجهاز والمهر، ويعلن عن الخطبة بحضور فقيه ويعلن عن يوم الزفاف «تيخسايين».

وبعد الخطبة تبدأ الاستعدادات التي قد تطول أو تقصر حسب إمكانيات العائلتين، وظروفهما المادية، من أجل احتفالات الزفاف التي تتنوع بدورها حسب المناطق، وإن كانت الأعراس في المغرب أصبحت بسبب وسائل الاتصال والانفتاح على الجهات المغربية، تتشابه كثيرا وتأخذ من بعضها البعض.

كانت الاحتفالات تدوم من أربعة أيام إلى أسبوع، ولا يزال الأمر كذلك في بعض المناطق مثل فكيك، واليوم الأول غالبا هو يوم إرسال الهدية إلى بيت العروس «الدفوع»، وتتضمن هدايا متنوعة (ملابس وأحذية وحناء وعطور وذهب وفضة الخ) وكبشا أو عجلا. ويقيم أهل العروسة مأدبة عشاء بالمناسبة لأهل العريس. وبعد العشاء تتزين العروس بين نساء العائلة وتخضب يديها ورجليها بالحناء في احتفال صغير، يتضمن في فكيك غناء ورقصا خاصا يسمى «أورار». وفي بعض المناطق تتم طقوس الحنة، وتزف العروس إلى

زوجها في نفس الليلة، حيث ترافق النسوة عروستهن محجبة إلى بيت الزوج، وبعد وصولها يدخلنها الخدر.

وفي البادية، ينتقل أب العريس وعائلته وكبراء الدوار في اليوم المحدد للزواج إلى خيمة الفتاة التي تكون قد تزينت بلباس أبيض، وإذا كانت الخيمة بعيدة، فإن والد العريس ينتقل على فرسه صحبة موكب من الخيول مع « العطوش» لإحضار العروس، فينزل الجميع ضيوفا على والد الزوجة وتنظم ألعاب الفروسية، وعندما يدنو موعد أخذ العروس يتجمع أهل دوارها على شكل حلقة حول الخيمة وهم ينشدون وينفخون في الناي «الليرة» ويضربون الدف «البندير» وتعم الجلبة وتتحرك «الرحالية» بعدة طلقات من البارود.

في فكيك تتخذ ليلة الرواح طقوسا متميزة، ففي هذا اليوم وهو عادة اليوم الثالث من الاحتفالات، يتم إعداد الكسكس باكرا من قبل النساء، وفي المساء يأتي شبان لحمل القصاع قريبا من بيت دار العريس، وبعد صلاة العشاء يقدم للمدعوين مع كؤوس الشاي.

بعد ذلك تذهب الفتيات في موكب حافل إلى بيت العريس وسط الأغاني والزغاريد، وعند باب بيت العروس تستقبلهن نساء العائلة الثانية ويشرعن جميعا في الغناء والعزف والنقر على البندير، ثم يأخذنها إلى بيت زوجها، حيث توجد في انتظارها نساء عائلة العريس. وعند الباب تأخذ أم العريس بيدها اليمنى وتطرق الباب سبع مرات، ويدخل الجميع وسط الزغاريد والهتاف، ثم تدخل غرفتها بعد قرع بابها سبع مرات أيضا، وتجلس على سريرها، وتحضر أم زوجها وتكرر نثر الشعير والقمح على رأسها سبع مرات، وتناولها بيمينها السمن والعسل ثلاث مرات، ويغادر الجميع الغرفة ما عدا بعض قريباتها كأختها أو خالتها. وتستمر الاحتفالات في الخارج في انتظار انتهاء احتفال الرجال الذي يستمر إلى الفجر.

أما العريس، فيستعد للمناسبة استعدادا خاصا، ويشارك في الحفل الذي يستمر عادة إلى ساعة متأخرة من الليل وبعد ذلك يدخل بزوجته.

www.beniznassen.com

في جهات أخرى، يقوم العريس بعد انتهاء مأدبة الزفاف بالقفز على نار كبيرة توقد سلفا، لاعتقاد الأهل بأنها مطهرة للعريس من كل ما يمكن أن ينغص عليه حياته وسعادته، ويختفي العريس عن الأنظار لمدة أسبوع، وطوال هذه المدة تحمل للعريسين وجباتهما داخل الحجبة، ولا تقوم العروس بأي عمل بيتي، لكن العروس المطلقة لا تعفى من أشغال البيت إلا لمدة ثلاثة أيام.

• رمضان وعيد الفطر: لا تختلف عادات الجهة الشرقية كثيرا عن مثيلاتها في المغرب خلال رمضان وعيد الفطر، حيث يتكون الفطور من القهوة والخبز والزبدة والتمر والحريرة، ويفطر الرجال على حبات من التمر ويسارعون إلى المسجد لأداء صلاة المغرب، ولا يتناولون بقية فطورهم إلا بعد العودة من الصلاة، وبعد صلاة العشاء والتراويح يتناولون الشاي ويسهرون قليلا. وعند السحور، كانت في الماضي فرقة من العبيد تقرع الطبول لإيقاظ الناس، وكانت تسمى بالأمازيغية « إشمجان». وفي ليلة القدر يعد العشاء الذي يتضمن الكسكس واللحم، وتمتلئ المساجد بالمصلين إلى الفجر.

• الاحتفال بحلول الربيع : يتم الاحتفال في بعض المناطق من الجهة الشرقية بحلول فصل الربيع، وذلك في أول أيامه، حيث تجهز النساء قبل ذلك بيومين كميات كبيرة من الحرطيطة، (البغرير)، ويقمن بجمع الحليب من أجل إعداد «الرايب». وفي اليوم الأول من فصل الربيع، يتم تحضير «الرفيسة» في كل بيت، وتتضمن البغرير المسقي بالقشدة، ويؤكل في الغذاء.

• الناير: هو تقليد تختص به المنطقة الشرقية، ويحتفل به يومي 13 و14 من شهر يناير، وقبل حلول هذا التاريخ تمتلئ الأسواق بكل أنواع الفواكه الجافة من تمر وجوز ولوز وتين وزبيب وبندق وغيرها، وعند حلول اليوم الثالث عشر تهيئ الأم وجبة العشاء، وتكون غالبا عبارة عن «رفيسة» مهيأة من لحم الديك الرومي أو من دجاج بلدي، وترتبط بهذه المناسبة طقوس كثيرة.

• اللباس : يختلف اللباس في المنطقة الشرقية حسب الأماكن والقبائل، ويبدو أنه ساير التطورات التي عرفتها البلاد، ففي مناطق الرعي التقليدية خاصة في مناطق القبائل العربية كان الرجال يعرفون بالرزّة المشدودة على الرأس بحبل مفتول ،وكان قوام هذا الحبل وبرا ويسمونه «الخيط» إلا أن هذا التقليد انقرض، وتم تعويض الرزة بالشاشية «ترازا» وهي عبارة عن طربوش من دوم، وحتى لباس الرأس هذا تم التخلي عنه لصالح حسورة الرأس أو لصالح رزة عادية. لكن الرجل الميسور الحال من سكان وجدة كان يزين رأسه قديما بشاشية محاطة بقطعة ثوب من «الحياتي» أما متوسطو الحال فيكتفون بالثوب دون شاشية، وغالبا ما تكون رؤوسهم حليقة.

وفي وجدة، يختلف هذا اللباس شيئا ما عن سابقه، فهو قميص كبير، أو قميصان دون أكمام (تشامير)، وتحت التشامير يلبس سروال يكون من قطن، ويغطي الجميع بكندورة ذات صدرية مزركشة، وفوقه حايك أو جلباب. ويلبس عامة الناس الحايك و جلبابا خشنا مخططا من صوف رمادي مثل سكان جبال بني يزناسن وبني بوزكَو وغيرهم.

انتعل البدو قديما بسهل أنكَاد «النعايل» وهي أحذية من جلد الإبل، وللسير في الجبال صنعوا لأنفسهم نعايل من الحلفة لأنها أكثر مقاومة لخشونة

لباس تقليدي

www.beniznassen.com

الأرض من جلد الجمال، وأكثر سمكا، وتلطف من خشونة الحجارة بالنسبة للمسافر أو الراعي أو غيرهما.

وكان أهل اليُسر من الوجديين ينتعلون البلاغي، أما العامة فكانوا فيتخذون نعالا مظفورة من الحلفة، وقلما استعملوا الجوارب، وهي دائما من صوف أبيض.

ويلبس النساء سواء في المدينة أو البادية قمصانا بيضا من غير أكمام، وفساتين من حرير أو كتان حسب الحالة الاجتماعية لكل منهن، و لباسا شفافا من الموسلين المزركش. وأحزمة أو مضمات، وسراويل خفيفة.

لكن عادات اللباس المذكورة أعلاه قد تغيرت بشكل جذري عند الرجال والنساء، ولم يبق منها اليوم إلا النزر القليل. إلا أن نساء فكَيكَ مثلا، ما يزلن وفيات لارتداء الحايك الذي يلف أجسامهن بشكل كامل ولا يظهرن منه إلا عينا واحدة إذا ما خرجن لقضاء أغراضهن داخل قصورهن، وما يزال السلهام الفكَيكي حاضرا لدى الرجال.

يتضح مما سبق أن الجهة الشرقية غنية بتراث أصيل يتميز بخصوصيات مرتبطة بالتاريخ والمجال، ويبرز ذلك من خلال التراث المادي والتاريخي والثقافي بكل أشكاله، وهي كلها مكتسبات تدفع إلى إثبات الذات والهوية المحلية المتميزة، حيث استفادت الجهة من موقعها الحدودي عبر التاريخ، فتفردت بتراث مشترك مع غرب الجزائر، قد يساعد على تقارب الشعوب والدفع بها إلى تحقيق تنمية تشمل كل الميادين.

كما أن موقع الجهة الشرقية يؤهلها أكثر من غيرها للعب دور أساس على مستوى الاتحاد ألمغاربي، خاصة إذا ما رُفعت العراقيل التي تعوق حرية التنقل وحرية التجارة بين بلدان المغرب العربي، ولعل مشاريع التنمية المتنوعة التي تعرفها الجهة في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية قد تعزز موقعها لتكون قاطرة نموذجية لهذا الاتحاد.

الخاتمة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ومن جهة أخرى فإن موقع الجهة الشرقية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط قد يخوّل لها لعب دور طلائعي على مستوى الحوض المتوسطي الغربي، من حيث التلاقح بين الثقافات المتوسطية بالإضافة إلى تنشيط الاقتصاد عن طريق قطاعات حيوية مثل السياحة والتجارة والصناعة، وقد لاحت بوادر مشجعة في هذا الاتجاه خاصة في قطاع السياحة، الذي عرف قفزة نوعية تجلت في عدة منجزات بمدينة السعيدية. كما أن الجهة الشرقية تعدّ بوابة أساسية للمغاربة المقيمين بالمهجر، وذلك من خلال ميناء بني انصار قرب الناضور، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد ميناء طنجة من حيث عدد المسافرين، وقد يساهم هؤلاء في مشاريع التنمية عن طريق الاستثمار أو في قطاع السياحة. وبذلك يتأكد بجلاء أن الجهة الشرقية لها مستقبل واعد إذا ما وقع الإعداد لمخططات ومشاريع تنموية تراعي الاستفادة من التراث الحضاري الذي ميّز مجالها عبر التاريخ.

الإخـراج

غرافيلي

الطبع

منشورات عكاظ

الإيداع القانوني

2009M01713

ردمك

978-9954-432-89-2

www.beniznassen.com

موقع تاريخ بني يزناسن

تاريخ حافل بالبطولة والامجاد